

روايات رومانسية عالية
عبير



ماري ويبرلي

...وعاد في المساء

nlo

13



www.lilas.com

مكتبة

روايات رومانسية عالية
عبير

nlo

...وعاد في المساء

بعض

الناس يتعودون تمضية

العطلة في مكان معين ويحافظون على

هذا التقليد كل عام. هكذا كانت ساشا التي لم

تكن تدري ما ينتظرها في المنزل المعروف باسم

لافاليز في الريف الفرنسي... هناك كانت تمضي

عطلتها كل عام، وهذا العام وجدت نفسها أسيرة أشخاص

غريبين الاطوار. حارسها مارك الروسي الاصل، القاسي

الذي لا يرحم، الى اين يستطيع ان يتبعها، وكيف

تستطيع ان تنساه؟

liblas.com

جمهورية مصر العربية - القاهرة
10 شارع الشيخ محمد سعيد - خلف الجامع الأزهر
ت 2017520 - موبايل 01117520

nlo

١- العطلة المخطوفة

بدأت تظهر من بين الأشجار الكثيفة معالم لا فاليز، أحد المنازل القديمة،
و ساشا تفود سيارتها الستروين الصغيرة وتقترب من نهاية الرحلة.
وارتسمت على شفتيها ابتسامة وهي تمسك بعجلة القيادة، فكان الطريق في
هذه المنطقة وعراً إلى حد ما. ودخلت في السيارة أحد المنحنيات وقد أنساها شعور
الوصول إلى المنزل الذي تنصده لقضاء عطلتها متاعب الرحلة بالطائرة إلى مطار
نيس ثم الرحلة الطويلة التي أعقبت ذلك في السيارة التي استأجرتها من
المطار وتساءلت ساشا إذا كانت ستجد السيدة كاسيل في انتظارها وقد
اعتادت السيدة كاسيل أن تقدم للنادمين عصير الليمون المثلج وربما وجبة
خفيفة من اللحم والخمير المقدد والزيتون.

كان الطريق وعراً. فقد كان ممراً حجرياً يصل المنزل بالطريق العام وكان الجو
حاراً للغاية بالنسبة الى هذا الوقت من العام في نهاية شهر أيار/مايو وقد بدت
السما كأنها على وشك أن تمطر وقتئذ ساشا أن تمطر السماء فعلاً حتى يطفئ
ذلك من شدة حرارة الجو. وأخرجت منديل ورق من حقيبتها ومسحت وجهها
الذي امتلأ بحبات العرق وهي تتعجل الوصول إلى المنزل لتأخذ حماماً بارداً.
صحيح إن المنزل القديم لم يكن يحتوي حماماً بمعنى الكلمة ولكن كانت فيه
غرفة صغيرة مزودة بدوش. وبدأ ساشا وهي غشي في المعرا الضيق المؤدي الى

liilas.com

المنزل أن الأسوار الحجرية العالية التي تحيط به على وشك السقوط لكنها تذكرت أنها كانت هكذا دائماً منذ ثمانية أعوام حين جاءت إلى المنزل لأول مرة وكانت في ذلك الوقت في الرابعة عشرة من عمرها.

وحولت نظرها لحظة عن الطريق وهي تنظر إلى طير جميل وقف على أحد التوتوات الحجرية البارزة في السور وعندما التفتت إلى الطريق من جديد فوجئت بشيء غير متوقع: دراجة بخارية تندفع مقبلة بسرعة من ناحية المنزل ثم تدور لتقف فجأة على بعد خطوات من سيارتها. فضغطت بقدمها بطريقة لا شعورية على كايح السيارة لتوقفها.

وأعقب ذلك فترة من السكون يشبه ذلك الذي يسبق العاصفة وعندما قالت أعصابها من جديد نظرت من نافذة السيارة فראت شاباً ينزل عن الدراجة البخارية ويتجه إليها.

كان الشاب فارغ القامة يصل طوله إلى حوالي ستة أقدام وكان قوي البنية بدرجة واضحة. أما وجهه الذي لوحته الشمس فاكتسى باللون الأسمر الجذاب فظهر قوياً برجتيه البارزتين وعينييه السوداوين وقد تهدل شعره الأسود فوق جبينه. وكان يلبس سروالاً قصيراً أزرق اللون وقميصاً تركه مفتوحاً في هذا الجو الحار وقد انتعل حذاء من أحذية الرياضة الخفيفة. وبدت سائلاه وفراعه وقد كساها الشعر الكثيف. كان مظهره بوجه عام ينم عن القوة والرجولة.

ونظرت ساشا إلى وجهه فلم تلحج أية مظاهر للفضب بل بدا لها كأنه يتسم. وفتحت ساشا باب سيارتها لتقف في مواجهة الشاب الذي بدا فارغاً بالنسبة إليها رغم كونها لم تكن قصيرة واتسم الشاب وهو يثقل بالفرنسية: «أنا أسف يا أنسة وأرجو ألا أكون قد سببت لك أي انزعاج، لكنني لم أكن أتوقع أن أرى أي شخص هنا فهذا الطريق كما ترين ممر خاص».

فأجاب ساشا بالفرنسية أيضاً:

«نعم... اعرف أنه ممر خاص».

قاطعها الشاب قائلاً بالانكليزية:

«أوه... أنت إنكليزية».

نظرت ساشا إليه وقد بدت على وجهها معالم الحيرة وهي تقول:

«نعم... إنني إنكليزية... ولكن... كيف... عرفت ذلك؟»

فضحك الشاب الأسمر وبدت أسنانه ناصعة البياض وسط وجهه الذي لوحته الشمس:

«عرفت ذلك من لحنك... لا يستطيع أحد أن يخطيء في معرفة اللهجة الانكليزية... أليس كذلك؟»

ونظرت إليه ساشا من جديد وكان واضحاً لها أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون هذا الشاب الجذاب الذي يقف مواجهتها إنكليزياً أو فرنسياً وودت لو عرفت جنسيته، لكنها لم تسأله واكتفت بالرد قائلة:

«نعم هذا صحيح... لكنني أسفة أيضاً... فلم أتوقع أن أقابل أي شخص في هذا المر لأنني أعتقد أنه يؤدي فقط إلى المنزل الذي أقصده».

ورد الشاب قائلاً:

«هو كذلك فعلاً... ولكن لماذا؟»

ولحت ساشا في وجهه كلمة تعبير ينم عن الضيق ولكنه اختفى سريعاً فردت قائلة:

«لأنني متجهة إلى هذا المنزل».

ونظرت إليه ساشا وهي تبسم فقد كان شاباً وسياً ولو أنه كان يادي الرجولة والحشونة وشعرت ساشا وهي تنظر إليه بهرجة خفيفة لكنها لم تستطع أن تعرف سبب ذلك.

ورد الشاب وقد بدأت الابتسامة تغيب عن وجهه:

«لا بد أن هناك خطأ ما... فإنتي أقيم في هذا المنزل أيضاً»
وتوقف قليلاً قبل أن يضيف:

«مع عائلي... وسكنت فيه لغدة أسابيع. ثم أضاف وهو يهز كتفيه بطريقة بدت لها جاذبة. ولذلك لم تدعه ساشا يكمل كلامه فقد بدأت تشعر بالضيق فرددت عليه في لهجة حازمة:

«لا... لا... إنتي أسفة... ولكن معي رسالة هنا في حقيبتي.»

وانحنت ساشا تبحث في حقيبتها عن الرسالة لترىها للشاب. ولذلك فقد فاتها أن ترى أحد الرجال يأتي من ناحية المنزل وفوجئت. وهي تبحث بمحتويات الحقيبة بصوت رجل يتلوى على الشاب. باسم مارك ثم يقول شيئاً بلغة لم تعرفها.

ونظرت ساشا إلى أعلى لتفاجأ على بعد خطوات منها برجل رمادي الشعر أتى على ما يبدو من المنزل في حيرة ينظر إليها وكأنه فوجئ بوجودها مع الشاب. والتفت الشاب إلى الرجل وتحدث إليه بهضج كلمات سريعة غاضبة بلغة لم تكن غريبة على مسعها وإن لم تكن تعرف ما هي فالجبه الرجل ناحية المنزل من جديد وهو يلوح بيديه كأنه يعتذر ويقول أنه لم يكن يعرف.

والفتت الشاب إلى ساشا وفي هذه اللحظة اكتشفت ساشا سببين مهمين أولهما أن وجه الرجل الرمادي الشعر ليس غريباً عليها وربما تكون وأنه من قبل مرة واحدة. والثاني أن هذا الشاب الذي يلف معها اسمه مارك وبدأ لها هذا الاسم جذاباً.

وبدا لساشا أن شيئاً ما حدث وإن لم تكن تعرف ما هو وبدأ الشاب نافذ الصبر وأشار إليها بيده وهي ما زالت تبحث عن الرسالة في حقيبتها بما يعني أنه لا داعي للبحث فالمسألة لم تعد تهمة... ثم مديده ليمسك بذراع ساشا وهو يقول:

«اسمعي يا أنسة... يبدو واضحاً أن هناك سوء تفاهم. تعالي معي إلى المنزل

لتبحث هذا الأمر بيننا تناول بعض الشراب. فالجو حار هنا»
وشعرت ساشا بيد دافئة تكاد تحرق ذراعها فنظرت إليه والتفت نظراتها

وفي هذه اللحظة رأت في عيني الشاب شيئاً أفرعها قليلاً وجعلها تدرك على الفور أنه يجب عليها أن تضي من هذا المكان. ولم تكن تعرف تماماً ما هو هذا الشيء. ولكن كل ما تعرفه أن شعوراً قوياً بداخلها كان يحذرها من هذا الشاب ويدفعها إلى الهرب بعيداً عن المكان.

حسناً حاولت ساشا أن تتأسك وأن تبدو طبيعية بقدر الامكان وهي تقول له:

«حسناً... ربما كنت على حق... وربما يكون حدث خطأ ما... في أي حال لي عمة تقيم في مكان ويمكنني أن أذهب إليها وزيارتها...»

ولم يدعها الشاب تكمل حديثها بل قاطعها سريعاً وهو يقول في لهجة لطيفة:

«لا... لا أعتقد أنه يمكنك ذلك. فليس من العدل أن أدعك تعودين أدراجك بعد كل هذه الرحلة الطويلة. تعالي الآن.»

ثم أضاف وهو يهز كتفيه بالطريقة الجذابة نفسها قائلاً:

«سنعود إلى المنزل الآن. حيث نقرر ما يمكن أن نفعله. وأنا أكرر لك أسفي.»
والتفتت ساشا إلى سيارتها وودت لو أنها عادت أدراجها فوراً برغم مشقة الرحلة فقد ازداد هذا الشعور القامض الذي يدفعها إلى الابتعاد بالهرب.

واقبعت ساشا إلى السيارة ومدت يدها إلى الباب لتفتحه وهي تنظر إلى الشاب. بدا لها الآن كما بدا لها لأول وهلة جذاباً إلى درجة كبيرة. هناك شيء آخر يبدو عليه الآن لا تستطيع أن تصفه ولكنه يملأها بالخوف. ونظرت إليه وهي تحاول أن ترسم على شفيتها ابتسامة وهي تقول:

«لا بد أن أذهب الآن...»

لكن الشاب المدعو مارك تقدم بسرعة لينحني داخل السيارة ويخطف المفاتيح منها ثم يطرحها في الهواء ليلتقطها من جديد قائلاً:
«لا... ليس الآن»

كانت ساشا فتاة شجاعة واسعة الحيلة وقد فكت مرة من القبض على مجرم كان يحاول مهاجمة إحدى السيدات وسرقته فصرخته ساشا بكل قوتها وأوقعت على الأرض إلى أن تمكن الناس من الإمساك به. ولكن شيئاً ما بداخلها كان يقول لها أن هذا الشاب يختلف تماماً عن المجرمين وربما يكون نوعه فريداً. لذلك حاولت التماسك ورفعت رأسها في تحد واضح وهي تقول له:
«أنا لا أدري تماماً ما هي هذه اللعبة التي تحاول أن تقوم بها... ولكنني أريد مفاتيح السيارة... الآن... لو سمحت»

ومدت إليه يدها وهي تنظر في عينيه الداكنتين. ولكنه نظر إليها وقد لاحت على شفتيه ابتسامة وهو يقول في تعجب:
«لعبة... إني أسف فأنا لا أفهم ما تقصدين بذلك... كل ما أريده...»

ولم يكمل حديثه فقد مدت ساشا يدها بسرعة في محاولة منها لاختطاف مفاتيح السيارة التي كان يمسك بها بغير اكتراث فأسرع الشاب بمسك يدها بلطف ولكن بخزم وقوة، فتخلصت منه لتطلق يدها وقد تسارعت دقات قلبها وسرت في جسها فشريرة الخوف وظلت لحظة لا تدري ماذا تفعل ثم فجأة وجدت نفسها تندفع لتركض مبتعدة عن الشاب، لتنهط المر الحجري الضيق متجهة إلى الطريق الرئيسي الذي كان يبعد نحو ميل... أدركت في هذه اللحظة ما يحدث حولها وأدركت أنه يجب عليها أن تهرب بأسرع ما يمكن وليحدث ما يحدث. ولم تكن ساشا تدري وهي تجري على المر الحجري وقد أحاطت بها الأسوار العالية. إذا كان ما يحدث لها مجرد كابوس سرعان ما يزول أم هو حقيقة واقعة. ولكنها أدانت إلى الشاب يتبعها ويمسك بها بقوة. وحاولت ساشا

التخلص منه وأخذت تركله بعنف وتضربه بيديها في محاولة لابعاده بدون فائدة... وكانت ساشا تعرف أنها لن تفلت فقد كان قوياً. لكنه على الأقل كان يجب عليها أن تحاول.
وأخيراً قال الشاب:

«أرجوك... لا داعي للمقاومة... إنك بذلك لن تؤذي غير نفسك... تعالي يجب أن تأتي معي الآن... ألا تدرين ذلك، لو أنك لم تري... لو أنت جئت في وقت آخر... لو...»
ثم توقف الشاب فجأة عن الحديث كأنه أدرك أنه أفصح أكثر مما يجب. وسحبها معه إلى أعلى السر في الطريق إلى المنزل وهو يحيطها بذراعه بقوة، وفكرت ساشا في مرارة بأن أي شخص يراها الآن وقد التصقا ببعضهما وهو يحيطها بذراعه لا بد سيعتقد أنها عاشقان وقتت ساشا لو أن الأمر كان هكذا فعلاً.

وحاولت ساشا النقاط أنفاسها وهي تقول في عصبية:
«ابعد يديك عني»

وأبعد الشاب يديه عنها فوراً وهو يقول:
«حسناً... ولكن إذا حاولت الحرب مرة أخرى لن أستمع إلى كلامك بعد ذلك، وأرجو أن تفهمي هذا جيداً»
واقتربا في هذه اللحظة من المنزل وبدا لساشا مأوفاً لديها ويوحى بالأمان كما عهدته من قبل. أما الآن فإن الوضع يختلف ولم تكن تعرف ما ينتظرها فيه.

ولم تدحس ساشا هذه المرة وهي ترى رجلاً آخر يقف أمام باب المنزل. وعندما اقتربا منه استطاعت ساشا أن تراه جيداً ولم تدرك لماذا شعرت بخوف مبهم. وسمعت ساشا الشاب المدعو مارك همس إليها قائلاً:
«لا تخافي... إنه لن يؤذيك»

وأخذت ساشا تفكر بسرعة انه لا بد أن السيدة كاسيل موجودة في مكان قريب. فأنها تتولى إدارة المنزل دائماً في حال تأجير لأي شخص. وأخذت تطمن نفسها بأن السيدة كاسيل ستضع الأمور في نصابها ويجب عليها أن تفعل ذلك.

وأفادت ساشا من أفكارها على صوت الشاب وهو يقول لها:
«تفضل بالدخول».

ولاحظت بشيء من الراحة اختفاء الرجل الذي كان يقف في الباب، ولم نجد ساشا مفراً من الانصياع لأمر الشاب الذي فتح باب المنزل للدخول. وشعرت في هذه اللحظة وهي تخطو إلى داخل المنزل وكأنها تساق إلى حتفها. وتوقفت للحظة فقد كان المكان مظلماً للغاية بالمقارنة مع ضوء الشمس الساطع في الخارج. وشعرت وهي تطأ عتبة المنزل بأن المكان ما زال مألوفاً لديها كما كان دائماً وأن المنزل القديم ما زال كما هو على الرغم من وجود بعض الأغراب فيه. وتيفظت من جديد على صوت الشاب وهو يقول لها:

«أرجوك... إجلسي... هل ترغين في قدح من الشاي أو القهوة؟»

وعلى الرغم من ساشا كانت تشعر بعطش شديد إلا أن الخوف والشك كانا يملآن نفسها فردت بسرعة وبدون تفكير:
«حسناً... ولكن شرط أن أقوم أنا بأعداده».

وضحك الشاب بطريقة لطيفة وبصوت عال وقال وهو يرجع برأسه إلى الخلف:

«هل تعتقدين أنني سأضع لك مخدراً في المشروب... حسناً تعالي معي».

قال ذلك وهو يشير إلى المطبخ الذي يفتح على غرفة الجلوس الكبيرة الرئيسية في المنزل. والجهت ساشا معه إلى المطبخ وهي تتلفت وتجول ببصرها في أنحاء المكان لترى إذا حدث فيه بعض التغييرات لكن كل شيء بدا لها كما كان دائماً.

حتى كان يوسعها أن تقسم أن حزمة البصل المدلاة على الحائط ما زالت مكانها منذ قامت بزيارة المنزل آخر مرة.

وتنهدت ساشا وهي تتجول ببصرها في أنحاء المطبخ، لون الحائط كما هو لم يتغير، الموقد القديم نفسه، والمخازنة الضخمة... كل شيء كما هو وكأن شيئاً جديداً لم يحدث، على الإطلاق.

وانحنى مارك لليلتقط علبة من المخازنة وفتحها وهو يقول:

«هل ترغين في شرب الشاي... أعرف أن الانكليز يحبون الشاي، أليس كذلك؟ وأعتقد أنك أيضاً تفضلينه».

وأجابته ساشا بالإيجاب وقبل أن تصل إلى الابريق الموضوع فوق الموقد كان مارك قد سارع برفعه وتوجه إلى الفوضى بملأه يده.

ووقفت ساشا تراقبه وهو يتحرك بسرعة ليشعل الموقد ويضع الابريق فوقه ثم سألته وهي ما زالت تشعر بملس ذراعه حول خصرها:
«من أين أنت؟»

فالتفت مارك إليها وهز رأسه وهو يقول:

«دعينا نشرب الشاي أولاً... ثم أجب على أسئلتك».

ولكنني أريد أن أعرف الآن».

وفي هذه اللحظة رأت ساشا قضيباً من الخشب يستند إلى المخازنة وفكرت أنه قد يصلح سلاحاً فعالاً لو أنها ضربت مارك بقوة. ولم يكن الخوف يمنع ساشا من تنفيذ هذه الفكرة ولكن ما كان يقلقها هو أنه لم تكن تعرف بالتحديد عدد الرجال الآخرين الموجودين في المنزل.

رأت حتى الآن رجلين يبدو أنهما الآن بعيدان عن المنزل ولكن مارك أبلغها من قبل أنه يقيم مع عائلته.

وأخذت تعمل ذهنها بسرعة، ربما لا يكون أحد الرجال في المنزل الآن ولكن

ماذا لو رآها أحد وهي تهرب بمفردها بدون أن يكون مارك معها.

كان أحد الرجلين الذي قابلته في المر الحجري يناهز الستين من عمره أما الآخر الذي كان يقف بباب المنزل فإنه أصلع وبدين ولن يمكنه الركض بسرعة للحاق بها. وعندما وصل تفكير ساشا إلى هذا الحد نظرت من جديد وبهذه شديدة إلى القضيبي الخشبي. فقد كانت تخشى أن يلاحظ مارك شيئاً برغم انشغاله في اعداد الشاي إذ كان يبدو لها يقطاً أكثر من اللازم

وترددت ساشا لحظة لكنها كانت تريد مغادرة المكان بأسرع ما يمكن... أين وضع مارك مفاتيح السيارة وتذكرت أنها رأتها يضعها في جيب السروال القصير الخلفي. وأخيراً قررت ساشا أن تنفذ خطتها وتضرب مارك بقضيبي الخشب ثم تأخذ المفاتيح من جيبه وتهرب بالسيارة إلى منزل العمه ماري في كان حيث يمكنها أن تتصل برجال الشرطة بعد أن تشعر بالأمان وتبلغهم بأمر الرجال المجانين الذين يحتلون المنزل.

وارتجفت ساشا وهي ترى مارك يلتفت إليها فجأة وهو يسألها:

«هل تريدن بعض السكر؟»

وتلعنت ساشا وهي تعجب بالنفي فالأمر لا يهمها الآن إذ قررت الهرب ولن تشرب الشاي في أي حال.

ووضعت ساشا حقيبتها على المائدة بصورة بدت طبيعية وانجهت إلى الحائط القريب من القضيبي الخشبي الذي أصبح في متناول يدها... لكن الموقف لم يكن قد حان بعد ان كان مارك يلتفت إليها قائلاً:

«الماء يغلي في الابريق... هل تضعين الشاي؟»

فردت ساشا بالانجباب وانجهت مارك إلى أحد الرفوف ليحضر الأقداح وفي هذه اللحظة أسرع ساشا بالتقاط القضيبي الخشبي وقد ملأها الخوف واليأس بالقوة ووجهته إلى رأس مارك في ضربة قوية. لكن القضيبي لم

يصب رأسه بل أصاب كتفه الأيسر وتنبه مارك في اللحظة الأخيرة لما يحدث خلفه وأمكنه تلاقي الضربة القوية على رأسه.

ولم تشعر ساشا إلا بالقضيبي الخشبي يختطف من يدها بسرعة ويسقط على الأرض بعيداً، ووجدت نفسها فجأة وجهاً لوجه مع رجل غلظه غضب جنوني وحشي، وشحب وجهه وسقطت ذراعه اليسرى إلى جانبه.

وتجمدت الدعاء في عروق ساشا التي اندفعت تركض إلى باب المطبخ في محاولة للهرب، لكن مارك تبعها وأمسك بها وهو يصراستانه وبدت على وجهها علامات الألم وهو يرمح قائلاً:

«هكذا... في الوقت الذي تحاولين أن تقتعيني فيه أنك بريئة.»

قال مارك هذه الجملة المهمة التي لم تستطع ساشا أن تفهم لها معنى. وهو يسحبها إلى غرفة الجلوس ويدفعها لتسقط فوق أحد المقاعد. ووقف مارك مواجهتها وهو يدلك كتفه اليسرى بيده اليمنى. وانكشفت في مكانها فوق الكرسي تنظر إليه ولكن شعورها بالخوف بدا يخف إلى حد ما، لأنها أفتعت نفسها بأنه لو كان مارك يريد الانتقام منها لفعل ذلك في لحظات الغضب الأعشى التي أعقبت محاولتها ضربه في المطبخ.

وأخيراً قال مارك

«والآن أريد أن أعرف منك كل شيء. من أنت ومن أين أنتيت. وحاذري أن تقولي غير الحقيقة. أين جواز سفرك؟»
«في حقيبتي في المطبخ.»

قالت ساشا ذلك وهي لا تفهم على الكلام إذ شعرت بحلقها يجف فجأة وبدا لها وكأن الجو ازداد حرارة وتوجه مارك بدون أن ينطق بكلمة أخرى إلى المطبخ وعاد حاملاً الحقيبة التي نذف بها على ركبتيها وهو يقول:

«افتحي هذه الحقيبة. وأخرجي منها جواز سفرك فقط ولا شيء غير ذلك. هل

وفتحت ساشا الحقيبة بصمت وقد شعرت أن فرصتها الوحيدة الآن للهروب من هذا المكان هي الاحتفاظ بهدونها والتصرف بطريقة متزنة غير منتهورة قدر الامكان.

وأخرجت ساشا جواز سفرها وسلمته إلى مارك. فأخذ هذا يدقق النظر في الصورة الملصقة به ثم نظر إليها. كأنه يريد التأكد من ان هذه صورتها بالفعل. وأخيراً نظر إليها وهو يقول في لهجة أقلقتها بعض الشيء:

«جواز سفرك يقول أنك صحفية».

قتلعت وهي ترد قائلة:

«نعم.. ولكنني صحفية في...»

كانت تود أن تقول أنها صحفية في صحيفة محلية صغيرة، لكن مارك لم يدعها تكمل حديثها بل سارع بمقاطعتها قائلاً:

«إذن أنت تريدان إيهامي بأنك حضرت إلى هنا لقضاء عطلتك».

ونظرت ساشا إليه والغضب مازال يملأ عينيه، لكنها في هذه اللحظة رأت فيها شيئاً آخر فقد بدأتاً زهدادان، بريقاً بصورة جعلت الفرع يمتلكها من جديد وهي لا تدري تماماً ما الذي يحدث من حولها فردت قائلة:

«نعم.. هذا حقيقي معي رسالة من السيدة كاسيل يزيد كلامي».

«لا يهم هذا الآن.. أخرجوك أن تفرغي محتويات حقيبتك كلها على الأرض».

وشعرت ساشا بغضب مفاجي.. فأجابته وهي تنظر إليه بتحد:

«لا لن أفعل... من أنت بحق الجحيم حتى تأمرني بذلك».

«أعتقد أنك تعرفين الآن الاجابة على هذا السؤال.. والآن هل تقومين بفتح حقيبتك أم أقرم أنا بذلك؟»

ولن تجدي فيها ما يهملك.

«حسناً، الأمر لن يستغرق طويلاً، والآن أخرجك أن تفعل ما طلبته منك».

قال مارك ذلك بلهجة هادئة، لكنها تنطوي على رنة تحذير فأذعنت ساشا وفتحت حقيبتها ثم أخرجت جميع محتوياتها ووضعتها على الأرض. وكان فيها تذاكر طائرة وإيصال إيجار السيارة من مطار نيس ورخصة قيادة وبعض الأدوات المهددة للصداع إلى جانب بعض أدوات المكياج.

ونظر مارك إلى محتويات الحقيبة التي وضعت على الأرض وهو يسأل:

«هل هذا كل شيء؟»

ولم ترد ساشا عليه بل أكتفت بفتح حقيبتها وأخذت تنفضها وتقربتها من وجهه ليرى بنفسه أنه لم يعد فيها شيء فقال:

«حسناً يمكنك الآن وضع حاجياتك في الحقيبة من جديد».

وبدأت ساشا تشعر بالارهاق اذ تكاثفت عليها عوامل الخوف والغضب والحرارة الشديدة لتصبها بصداع شديد. وبدأت أصابعها ترتعش وهي تدفع بحاجياتها من جديد في الحقيبة فأخرجت قرصين من الأسبرين وهي تتعاضى النظر إلى مارك لكنها قبل أن تضعها في قمها سمعت مارك يسألها:

«ماذا تفعلين؟»

فأجابت ساشا:

«أزني أشعر بالصداع.. ثم أردت وهي تنظر إليه».

«وأريد أن أخذ قرصين من الأسبرين.. هل تمانع في ذلك؟»

فأشار إليها برأسه موافقاً ولمحت ساشا عضلات فكه ترتعش وهو يقول:

«وقد ارتسخت على وجهها ابتسامة خفيفة».

ولم يجرؤ ألا يكون صداك مؤلاً كما هو الحال مع كنتي..»

ثم أضاف بلطف:

«وعالي الآن.. لنتنهي من اعداد الشاي.. اسبقيني في السير فإنني أفضل إن أراك

أمامي...»

ودخلا المطبخ ووقف مارك في فتحة الباب يراقبها وهي تقوم بصب الماء الغلي في إبريق الشاي وكانت ساشا تدرك تماماً حتى بدون أن تنظر إلى مارك أنه يقف متحفظاً للالتقاط في حالة قيامها بأي حركة.
وقال مارك :

«لا يوجد هنا حليب، بل يوجد بعض عصير الليمون الطازج.»
فردت ساشا وهي تصب قذحين من الشاي:
«هذا يكفي.»

ثم وضعت بعض قطرات من زجاجة عصير الليمون في الأقداح وقال مارك:
«شرب الشاي هنا في المطبخ... ضمني الأقداح على المائدة.»
وفعلت ساشا ما أمر به مارك الذي سحب مقعداً ليجلس في مواجهتها حول المائدة الخشبية الكبيرة التي تتوسط المطبخ، ثم أخرج من جيبه علبة سكاكر وهو يسألها:
«هل تودين التدخين؟»

فأجابته ساشا وهي تأخذ رشفة من الشاي لتبلغ بها الأسيرين بأنها لا تدخن... وأخذت تراقب مارك وهو يجلس أمامها يدخن سيكارتته وأخذت تسائل نفسها ما هذا الذي يحدث حولها وانتابها شعور بالخيرة لم تعرف مثله من قبل طوال حياتها... كانت تمنى الوصول إلى هذا المنزل لقضاء ثلاثة أسابيع في هدوء حيث يمكنها أن تمارس هوايتها في الرسم والسباحة والتمتع بأشعة الشمس والابتعاد عن نيجل في محاولة لاقصائه تماماً عن حياتها، ولكن الآن، إنها لا تود شيئاً أكثر من الابتعاد فوراً وبأسرع ما يمكن عن هذا المكان. وتذكرت العصة ماري وثقت في هذه اللحظة أن تذهب إليها في شقتها في كان التي كانت تبدو لها كمرفأ آمن في هذه الظروف التي تمر بها. وكانت قد وعدتها

قريبة أما الآن فإن هذا الأمر يبدو مستحيلاً.

توقفت ساشا عن الاسترسال في تفكيرها ونظرت إلى مارك تسأله فجأة:
«جارك... لو سمحت أريد أن أعرف لماذا تحتجزني هنا... لم أفعل شيئاً... وقد حضرت إلى هذا المكان لقضاء عطفتي.»

واستلأت عينا ساشا بالدموع وهي تقول هذا. وربما كان بسبب ارتشافها حبة كبيرة من الشاي الساخن، لكنها لاحظت أن وجه مارك بدأ يلين قليلاً وهو يتنفس دخان سيكارتته في المنفضة الزجاجية الموضوعة أمامه ثم نظر إليها قليلاً بعد لحظة:

«سأيل إلى تصديقك، وأتمنى أن أصدقك بالفعل، فإنتي أشعر أنه ليس من المناسب إطلاقاً الاحتفاظ بك هنا في المنزل، لكنني أجد نفسي مضطراً لذلك إذ لا يمكنني المجازفة، في أي حال ستمتكنين من قضاء عطلتك بعد بضعة أيام ولكن حتى يحين ذلك الوقت ستقيمين في هذا المنزل كضييفة.»

وشعرت ساشا في هذه اللحظة بآس شديد وانتابها برودة مفاجئة. وظلت تنظر إليه بعض الوقت وهي لا تقوى على الكلام، وأخيراً تساءلت في صوت خافت:

«ولكن لماذا... لماذا؟»

«لأنك كنت تعرفين السبب كما أعتقد فلا حاجة بي إلى الرد على سؤالك، وإذا لم تكوني تعرفين حقاً فمن الأفضل لك أن نظلي كذلك.»

وهزت ساشا رأسها في آس وأحست بالدموع الحقيقية تندفع إلى عينيها، إذ كانت مرفقة وجائعة وحضرت إلى هذا المكان طلباً للراحة بعد المشادة العنيفة التي وقعت بينها وبين نيجل فاندفعت تقول:

«صديقي... إنني لا أعرف شيئاً... والسيدة كاسيل ستؤكد لك ذلك. أنا أحضر إلى هذا المكان كل عام في غوز (يوليو) مع والدي لقضاء العطلة وقد حضرت هذا

وكانت ساشا على وشك أن تضيف أنها جاءت بمفردها، ولكنها توقفت فقد خطرت لها فجأة فكرة، فاستطردت تقول:

«السيدة كاسيل، مستشهداً بأنني أقول الحقيقة، ولكن أين هي»

قوله مارك وهو يتشم لها.

«ذهبت لزيارة ابنتها في فريجي»

«لا... ليس هذا صحيحاً فالسيدة كاسيل لا تترك المنزل أبداً في حالة وجود أحد فيه...»

ثم توقفت فجأة. وبدأ مارك كأنه قرأ أفكارها... إذ هو رأسه يرفق وهو يقول:

«لم نفسها بأي شيء وهي تقيم فعلاً عند ابنتها في فريجي وفي صحة جيدة»

وازداد اضطراب ساشا واشد الصداح عليها، لكنها صمدت على معرفة ما

يدور حولها فمضت في تسألها قائلة:

«ولكن لا يمكن أبداً للسيدة كاسيل أن تترك المنزل خاصة إذا كانت تنتظر وصول بعض الضيوف»

«أرسلت السيدة كاسيل رسائل إلى الأشخاص الذين كان من المفروض أن يستأجروا المنزل خلال الشهر الحالي ومن بينهم أنت لتبقيهم بالغاء الحجز بسبب مرضها»

ثم استطرد مارك وهو ينظر إليها متسجلاً:

«أبعد ذلك تريدان اقتناعي بأنك لم تلق مثل هذه الرسالة»

فهزت ساشا رأسها بالنفي وبدأت عليها مظاهر الحيرة وهي تقول:

«لا أفهم شيئاً، ولم أستلم منها مثل هذه الرسالة، بل استلمت منها رسالة تؤكد لي أنها في انتظارنا»

«المسألة في منتهى البساطة، ابليت السيدة كاسيل أنني حضرت إلى المنزل

قضاء شهر غسل مع عروسي وأنا لا ترتعب في وجود أحد معنا في المنزل ثم عطيتها مبلغاً كبيراً من المال - وقد صدقت قولاً بالفعل فأنت تعرفين أن الفرنسيين عاطفيون كما أنهم عمليون أيضاً»

ولكن هل أنت حقاً تنقضي شهر الغسل هنا؟

فضحك مارك ووجدت ساشا نفسها رغماً عنها تنظر إليه باعجاب إذ فإن وجهه يبدو جذاباً للغاية عندما يضحك ثم نظر إليها وهو يسأل:

«هل تعتقدين ذلك؟»

فتلحمت ساشا وهي تجيب قائلة:

«لا أعتقد ذلك مع وجود هذين الرجلين في المنزل»

وفجأة تسببت ساشا من جديد إلى حقيقة الوضع الذي وجدت نفسها فيه وتذكرت قول مارك لها أنه سيحتفظ بها في المنزل لبضعة أيام فسمعت بالاضطراب ولم تدرك ماذا تفعل وتركت مقعدها وانجذبت إلى النافذة وأسندت رأسها إليها وقد بدا عليها اليأس الشديد وهي لا تعرف ماذا يمكن أن تفعل.

وسمعت ساشا صوت مارك يسألها:

«ألا زلت تشعرين بالصداخ»

أغمضت ساشا عينيها وهي ترة بالاعجاب، لم تكن ساشا تريد أن تعترف بأنها تشعر بالخوف ولكن ماذا يمكنها أن تفعل وأي فرصة لها في العروب مع وجود الرجل الثلاثة في المنزل، كان الرجل الأكبر ذو الشعر الرمادي يبدو لطيفاً وطيباً أما الرجل الآخر الأصغر فلا يبدو لها كذلك.

وبدأت ساشا ترتجش وانتهت إلى يد مارك وهو يلمس ذراعها برفق ويقول لها:

«لن يصيبك أي شيء أثناء وجودك هنا ولكن لم يكن يتصورها ذلك فالتفتت إليه في توسل قائلة:

هولكن... لماذا... لماذا... أريد أن أعرف».

فنظر مارك إليها في حست لبضع ثوان ثم أجاب:

«لأنك رأيت بعض الصدفة ما لم يكن مفروضاً أن تربه... وهذا هو السبب في أنني أحتجرتك هنا... حتى لو كنت صادقة فيما تقولين وتركتك تذهبين ما الذي يضمن لي أنك لن تقول شيئاً».

«أعذك بذلك... لن أنفوه بكلمة...»

ولكن مارك هز رأسه وهو يقول:

«لا فالسألة لا تحتل المجازفة أبداً... حضرت للاقامة في هذا المنزل... وهذا ما سيجد بالفعول ولكنك ستضطرين إلى البقاء لبضعة أيام في صحبة أشخاص آخرين».

فاندفعت ساشا تقول في بأس محاولة إيهامها أنها لم تحضر بمفردها:

«والذي سيحضر إلى المنزل الليلة».

وتوقف مارك لحظة ثم هز كتفيه وهو يقول:

«إذا حضر والدك فسيكون على الرحب والسعة».

ثم استطرد وقد ارتست على فمه ابتسامة ساخرة:

«هولكنني أعتقد أنك لا تقولين الحقيقة... لماذا تكذبين؟»

فأجابت ساشا في تحد دون أن تحير على النظر في عينيه:

«سأرى إذا ما كنت صادقة أم لا».

مد مارك يده ليمسك بذقنها ويرفع وجهها إلى أعلى ونظر في عينيها قائلاً:

«ربما كنت صادقة... والآن أنت تبدين مرهقة... هل تريدان أخذ حمام... انتظري هنا وسأحضر جثائك من السيارة».

وخرج مارك من المطبخ وقد أمسك بالمغليخ في يده ونظرت إليه ساشا

وهي تدرك أنه برغم إصابة يده اليسرى مازال أقوى منها بكثير. ثم سمعته يتنادي أحد الأشخاص في الطابق العلوي... وانضمت ساشا وبعدها أدركت أنه لا يتكلم بالانكليزية أو الفرنسية وعرفت أنه يتحدث الروسية مما زاد من شعورها بالقلق.

وبعد قليل عاد مارك إلى المطبخ وهو يقول:

«لن يستغرق إحضار جثائك من السيارة وقتاً طويلاً... هل تريدان أن تأكلي شيئاً».

فسألته ساشا بطريقة مفاجئة:

«هل أجيد عندك كاليفار؟»

نظر إليها مارك قائلاً وهو يجلس في مواجهتها:

«إذن أنت تعرفين... هل تتحدثين اللغة الروسية؟»

ردت ساشا بالنفي فكانت تعرف أنه يتحدث الروسية ولكنها لم تكن

تعرف اللغة. وكانت تدرك أن مارك لن يصدقها.

وقعلاً هز رأسه قائلاً:

«حتى لو كنت صادقة في قولك يجب أن نأخذ حقناً في الحديث».

ولم ترد ساشا بل أدركت في هذه اللحظة أنها أخطأت إذ جعلت مارك

يعرف أنها اكتشفت جنسيته وساءت نفسها كيف لم تكتشف ذلك من قبل

فعلامح وجهه السلافية يوجئته البارزين وعينية الغائرتين تنطق بذلك.

وصممت ساشا على مغادرة المكان في أسرع وقت ممكن. مجرد أن تتاح لها

الفرصة لذلك. ولكن عليها أن تفكر في هدوء. والتظاهر بعدم الحرق وبأنها فليت

الأمر الواقع ثم تفكر في طريقة للهرب عندما تنفرد بنفسها في غرفتها.

وبالفعول بدأت ساشا تنفيذ هذه الفكرة فتظاهرت بالاسترخاء وهي تتحدث

مع مارك وسألته وهي تسمع صوت الرجل الآخر يعود بالخفاشب من

«هل يمكنكني أخذ المزيد من الشاي وبعض الطعام... أحضرت معي بعض الطعام معي من نيس وأشعر بجوع شديد..»

توقف مارك قائلاً:

«جسناً... انتظري هنا.»

ثم عاد يحمل حقيبة من البلاستيك كانت ضمن حقائبها، وسمعت صوت أقدام ثقيلة تصعد الدرج المؤدي إلى غرفة النوم، وتفتت ساشا الصعداء إذ كان وجود الرجل الأصلح الذي يحمل الحقيبة يملأها بالرعب.

وكانت ساشا تشعر بجوع شديد، ولكنها اضطرت إلى الانتظار حتى يخرج مارك جميع المأكولات من حقيبة البلاستيك وهو يفتش كل شيء بدقة. وبعد أن انتهى من ذلك قال لها:

«جسناً يمكنك الآن تناول الطعام... ولكن لماذا لاغتسلين أولاً؟ يوجد حمام في الطابق العلوي.»

«أعرف ذلك فقد حضرت إلى هذا المنزل من قبل كما أخبرتك.»

ثم أصابها في طجة حاولت أن تبدو لطيفة:

«سأصعد الآن... أين حائتي؟»

«هنا... بالداخل... تعالي سأحملها لك إلى الطابق العلوي.»

ولم تستطع ساشا أن تمنع نفسها من التساؤل كيف يمكنه أن يحمل الحقيبة ويحمله اليسرى مصابة وأفتعت نفسها أنها لا تهتم كثيراً بذلك فكل ما تريده الآن هو الخروج من هذا المنزل في أسرع وقت ممكن حتى لو اضطرت إلى ترك متاعها كله وراءها.

وحمل مارك الحقيبة وقد أمسك بأخفها وزناً في يده اليسرى المصابة وأوماً إليها برأسه وهو يرشدها إلى الطريق.

ونظرت إليه ساشا وشعرت بأنه على الرغم من أن يديه كانتا مشغولتين في حمل الحقيبة مازال متحفزاً لأي حركة قد تقوم بها.

وأوصلها مارك إلى حجرة في مقدمة المنزل اعتادت على النوم فيها عندما كانت تخذ إلى المنزل في المرات السابقة. ودخلت ساشا الغرفة حيث عاودتها الذكريات من زيارتها السابقة للمنزل كان كل شيء كما هو في الغرفة وتوقفت ساشا ساكنة وقد غلظها شعور بالحزن واليأس معاً. لم تكن تفكر أبداً في أنها ستضطر إلى مواجهة مثل هذا الموقف في وقت من الأوقات.

ويبدو أن مارك لاحظ علامات الانفعال التي انعكست على وجهها في هذه اللحظة فبدأ التسلول على وجهه وهو يقول:

«عافاً حدث؟»

«لا شيء... هل هذا المكان الذي سأقضي فيه الليل؟»

«نعم... وأنت تعرفين مكان الدوش في الغرفة الصغيرة المجاورة.»

بالطبع أعرف ذلك.»

ثم نظرت إليه وهي تسأل:

«ولكن هل تنوي البقاء في الغرفة بينما أستخدم للاغتسال؟»

أبسم مارك وهو ينظر إليها وقد لاحت ملامح وجهه الأسمر الذي لوحته الشمس. فبدأها أكثر جاذبية ورجولة. ولكن ساشا لم تكن في هذه اللحظة في حال يسمح لها بالاهتمام بذلك. فقد كانت تشعر بالخوف وتحاول جاهدة إخفاءها.

ورد مارك قائلاً:

«بالطبع لا أنوي البقاء... ولكنني أحذرك من محاولة الهرب مني مرة أخرى. فالغرفة كما ترى لا يوجد فيها سوى نالدة صغيرة جداً لا تستحق عنا، محاولتك الهرب منها.»

نظرت إليه ساشا بطريقة ساخرة وهي تقول:

«كنت أعتقد أنني ضيقتك».

ثم أضافت وهي تميل برأسها قليلاً.

«والضيف لن يحاول الحرب...أليس كذلك؟»

قوة مارك ويده على مقبض الباب:

«بالطبع لا...لا تؤاخذيني».

ثم أحنى لها رأسه بالتحية ونظر إليها وقد بدا لها في عينيه، تلك لحظة، تعبير غريب وهو يقول لها:

«إنك تبهدين جميلة جداً وأنت غاضبة...إنك جميلة حتى وأنت غير غاضبة».

وتركها بعدما أغلق الباب وراءه ووقفت ساشا وسط الغرفة وقد أثارها كلامه وأخذت تسأل نفسها من هو هذا الشاب الرومي وماذا يفعل مع رفاته في هذا المنزل؟

ولما لم تجد إجابة على هذه التساؤلات انحنى ساشا على حقيبتها في يأس وأخذت تبحث بحتوياتها بأنامل مرتعشة.

٢ - الغامض والسكين

لم تقابل ساشا أحداً في طريقها إلى الحمام ولا في عودتها، ولكنها زيارته في الاطمئنان أغلقت الباب خلفها بالفتاح وشعرت بانتعاش غريب بعد الحمام البارد الذي أخذته وكأنها وهي تغسل عنها آثار تعب الطريق أزاحت عن نفسها بعض الحرقه.

وجلست ساشا على السرير أمام المرأة التي تعلو الخزائن الكبيرة، ثمشط شعرها الأسود الناعم، ثم عقدته إلى الخلف بشرائط أحمر، وتطورت إلى نفسها في المرأة ووجدت نفسها رغباً عنها تفكر في الشاب الأسمر مارك وتساءلت ماذا ياترى قرأ في عينيه. وتذكرت بحاملته لها التي انفلتت منه عفواً وهو يخرج من الغرفة وكأنه نعمة أن يعينها بالفعل... ولكن ساشا حدثت نفسها بأن عليها ألا تلقي بالاً إلى مثل هذه المجاملات. قاتبا في أمن الحاجة في الوقت الحاضر إلى تركيز أفكارها لتدبر أمر هروبا من هذا المكان ولن يمكثها ذلك إذا سمحت لنفسها بالتأثر بنظرات مثل هذا الشاب الجذاب.

كانت ساشا جميلة ذات عيني زرقاوين جميلتين يزيدنها جمالاً وموشها السوداء وكانت تتمتع بغم أنشوي جميل. وكانت تدرك تماماً مدى جاذبيتها لطفال سمعت كلمات الاعجاب والاطراء من الشبان.

ونظرت إلى مارك وكان من الواضح أن ذراعه اليسرى مازالت تؤلمه وهو يحصل قدر الحساء ليترغ منه في الأطباق، ووجدت ساشا نفسها تسأله:
«هل يؤلمك كتفك كثيراً؟»

توقف قليلاً وهو يسكب الحساء قبل أن يقول:
«نعم... ولكن لماذا تسألين؟»

فاضطربت ساشا لأنها لم تكن تدري لماذا تهتم بالسؤال عن كتفه وتلعثت وهي ترد قائلة:

«لم أقصد... لم أكن لأفعل... وإني أسفة لأنها تؤلمك.»

وتوقفت ساشا عن الكلام فجأة وقد راعها أنها تحاول الاعتذار لمارك الذي انتهى من سكب الحساء في الأطباق، ووضع القدر على الموقد قبل أن يتجه إلى المائدة ليجلس إليها. ثم نظر إلى ساشا طويلاً وهو يلتقط ملعقته وقال:

«لو أن رجلاً فعل ذلك معي كان من المحتمل أن أقتله.»

ولم ترد ساشا فكانت على يقين أنه يعني حقاً ما يقول وشعرت بالبرودة تسري في جسمها، وهي تسأل نفسها من يكون هذا الشاب الذي يجلس أمامها؟ وانحنت ساشا على حوائثها لترشف منه. والتقطت قطعة خبز وقصصتها وهي تختلس النظر إلى مارك الذي كان يجلس في مواجهتها باسرخاء. يتناول طعامه بشهية واضحة، ورفع مارك رأسه والتفت نظراتها فسأله:
«هل أخفقت بكلامي؟»

فهزت ساشا رأسها نافية وإن كانت تعرف قائماً أنها تكذب، فأضاف قائلاً:
«حسناً... لم أكن أعني ما أقول قائماً... يجب ألا تخشي شيئاً، أنا وزملائي لن نلتحق بك أي أذى.»

ردت ساشا بطريقة حاولت معها أن تبدو لطيفة:
«وكيف لي أن أعرف؟»

«لأنني الرئيس هنا، وأنا لا أصارع النساء.»

وأخذ مارك لنفسه قطعة جبن ثم نظر إليها مبتسماً وقال:

«أنتي أدعي نيكولاï تورلشكوف والجميع يدعونني مارك... وأنتي الآنسة ساشا دونيلي، وسأدعوك ساشا إذا سمحت لي بذلك، بالطبع.»

وشعرت ساشا باسمها يبدو غريباً عليها ومارك ينطقه بلهجة روسية فأجابت:

«هل أمامي مجال للاختيار؟»

«نن تضطري إلى البقاء معنا أكثر من بضعة أيام ولكنني لن أناديك باسمك مجرداً إذا كنت لا ترغبين في ذلك.»

«حسناً، يمكنك أن تدعوني ساشا، ولكن ما اسم الرجلين الآخرين؟»

«الرجل الأصغر الذي أخذك مظهره يدعي جانوس أما الآخر ذو الشعر الرمادي يدعي سروج.»

ولاحظت ساشا أنه تردد قليلاً قبل أن يتطرق باسم الرجل الآخر ولكنها اضطرت تسأل:

«يكن ألا يعودان من الخارج الآن؟»

«نرد مارك بالإيجاب وهو ينظر إلى ساعة يده التي استطاعت ساشا أن يراها بوضوح وقد قاربت الساعة.»

وأخدت ساشا تفكر في وسيلة يمكنها بها التخلص من هذا الموقف الذي سببها إليه الأقدار وقد فشلت محاولتها السابقة للهروب.

لشابهت ونظرت إلى مارك وهي تبسم في خجل قائلة:

«معترة» فأنشئ متعباً للغاية.

سألتها وهو يرفع الطبق من أمامها:

«هل جئت اليوم من انكلترا؟»

فردت بالإيجاب وهي تحاول النفاذ بالتعب والارهاق حتى يطمئن إليها مارك. ويكشف عن مرائيتها بهذه الدقة ثم أضافت:

«السفر يشعري دائماً برغبة في النوم، كانت الرحلة من المطار إلى هنا متعبة للغاية. وكنت أرجو أن أنام في وقت مبكر...»

وانحنت ساشا وهي تنظر بأخذ قطعة من الجبن حتى لا يرى مارك تعبيرات وجهها.

«يتأكد ذلك بالطبع...»

ووجدت ساشا نفسها تعجب بمارك وغماً عنها. كان يتمتع بحساسية خاصة حتى طريفته في الحديث كانت جذابة. وعجبت ساشا من نفسها كيف تعجب، بتور وهي تعرف تماماً أن سبب وجوده هو وزملاته في المنزل الآن لا بد وأن ينظوي على الشر، ربما كانوا من المجرمين، أو المهربين، أو ما هو أسوأ من ذلك...

وشعرت ساشا بالحرق الشديد وانجذبت أنكارها إلى السيدة كاسيل. ترى ماذا حدث لها! لقد أكدت لها مارك أنها بخير، ولكن كيف لها أن تصدق. وتذكرت فجأة أن السيدة كاسيل اعتادت المبيت أحياناً في كوخها الصغير الذي يبعد عن المنزل بضعة مئات من الياردات. ووردت إلى ذهنها فكرة مفاجئة. وهي أن تنجس إلى الكوخ لتؤكد بنفسها من أن مارك وزملاء لا يحتفظون بالسيدة العجوز مفيدة في كوخها الصغير... أو ربما...

في هذه اللحظة عاد الرجلان إلى المنزل ودخلا المطبخ واستطاعت ساشا أن

تدقق النظر فيها عن قرب.

كان الرجل المدعو جانوس أصلع تماماً قوي البنية يبلغ من العمر حوالي الخمسين عاماً. وكان وجهه يبدو خالياً تماماً من أي تعبير. وقد أرستحت في عينيه الزرقاوين نظرة باردة. انحنى أمام ساشا عند دخوله بطريقة سريعة جافة وقدمه مارك إليها قائلاً:

«جانوس لا يتكلم الانكليزية يا ساشا.»

أما الرجل الآخر المدعو سيرج فقد كان مختلفاً عن جانوس تمام الاختلاف بوجهه الذي يبدو متعباً وقد أرستحت عليه ابتسامة لم تستطع ساشا أن تمنع نفسها من التجاوب معها.

كان يبدو وقد تاهز الستين من عمره تحيلاً للغاية ذا عيني سوداوين، لوحث الشمس وجهه الذي أحاط به شعر رمادي. وعندما دخل سيرج المطبخ تقدم منها ومد لها يده مصافحاً وهو ينطق ببضع كلمات فهمت بعد ذلك من مارك أنه يعبرها عن أسفه لهذه الطريقة التي بدأت بها عطلتها.

ونظرت ساشا إلى سيرج مبتسمة تشكره. وبينما جلس الرجلان إلى المائدة يتناولان الطعام أخذت ساشا تنظر من طرف حقي إلى مارك وهي لا تدري قائماً ماذا تفعل؟

وتزاحمت في ذهنها بعض الخطط غير المحددة للهروب من هذا المكان لكنها لم تكن تدري كيف تنفذها فأنرت الالتزام بالهدوء والانتظار حتى تتاح لها الفرصة المناسبة لتنفيذ أي منها.

وكان واضحاً لساشا أن مارك لا يريد لها أن تبقى الآن في المطبخ وقد دخل الرجلان إليه. وفعلاً أشار إليها بالخروج إلى غرفة الجلوس. وأمسك بشراعها وهو يوجه بعض الكلمات إلى الرجلين وقال:

«تعالي الآن... لنتركها يتناولان طعامهما».

ثم نظر إليها وأضاف:

«إنك تبدين متعبة، أليس كذلك؟»

فردت ساشا بالإيجاب وقد خطرت لها فكرة مفاجئة وأضافت:

«ولكنني أود أن أذهب للسبر قليلاً في الخارج... فقد تعودت أن أفعل ذلك قبل الذهاب إلى النوم».

وكشفت ساشا أنفاسها في انتظار رد مارك الذي هرّ كنفه قائلاً:
«إذا كنت ترغين في ذلك... ولكن الجو بارد الآن في الخارج هل لديك معطف؟»
وتقرّ قلبها فرحاً بين ضلوعها لكنها حاولت أن تخفي انفعالاتها وهي تقول:
«سأصعد إلى حجرتي لأحضر».

واندفعت ساشا إلى حجرتها حيث أحضرت معطفاً أسود اللون. وغتت لو أنه
كان لديها معطف «أكن حتى لا يمكن رؤيتها بوضوح في الظلام إذا ما أتيت لها
فرصة الحرب من مارك».

وعندما عادت إلى غرفة الجلوس نظرت إلى مارك وقد رست ابتسامة على
وجهها وهي تقول:

«أعتقد أنك ستصبحين في هذه التهمة».

فابتسم ابتسامة عريضة وهو يقول لها:

«هل تعتقدين أنني سأتركك تخرجين بمفردك في مثل هذا الظلام؟»

وأضاف في طعنة اتسمت بروح الفكاهة:

«من مصلحتك أن أصبحك فلا يمكن أن تعري من قد تصادفان في الخارج؟»

واثبت مارك إلى الباب الأمامي وخرجاً معاً. وكان مارك يرتدي صدرية
بيضاء. وفكرت ساشا وهي تتجسس نحو كوخ السيدة كاسيل أن هذا

سيساعدها كثيراً عندما تتمكن من الحرب إذ أنه سيمكنها رؤيته بسهولة في
الظلام.

كان الظلام شديداً بدت الأشجار كالأشباح وسط الحديقة وفكرت ساشا
أنها لم تكن تجرّو على الخروج إلى الحديقة بمفردها في الظروف العادية، أما الآن
فإنها على استعداد للسبر مئات الأحيال في هذا الظلام الدامس إذا ساعدتها
الفرصة على التخلص من مارك.

سارت ساشا في صمت إلى جانب مارك وكانت تسمع أصوات الحشاش
تتكسر تحت أقدامها وقجاً أجفلت وهي تنتبه إلى صوت تكبير بعض فروع
الأشجار فنظر إليها مارك متسائلاً:
«هل تشعرين بالبرودة؟»

«لا... ولكنني سمعت صوتاً... إني... إني سعيقة لأنك معي فالظلام يبدو مخيفاً
والمكان يبدو مليئاً بالأشباح».

وابشمت ساشا في الظلام وهي تحاول أن تظهر جزعها وخوفها من الأشباح
أو كانت تريد أن يعتقد أنها لن تحاول الحرب منه حتى لو أتيت لها الفرصة
لذلك.

ونظرت ساشا إلى مارك وهو يسير بجانبها وأحست بضعف موقفها لأنه
كان ضحياً جداً بالنسبة إليها، ولكنها صممت على المضي في خطتها لاقتاعه بأنها
لم تعد تفكر في الحرب منه وسألته:

«كم مضي عليك هنا... أم هل تريد أن تحتفظ بذلك سرّاً؟»

«بضعة أيام فقط... أخبريني يا ساشا من أي مكان من انكلترا أنت؟»
وشعرت ساشا بأن مارك لا يريد أن يجيب على أسئلتها. كانت تعرف أن
المجرمين لا يجيبون الخوض في الحديث عن حياتهم.

ولكن مارك لا يبدو لها مجزماً، حقاً إنها لم تتعامل مع مجرمين من قبل، ولكن تصرفات مارك وثقته الزائدة بنفسه وكبريائه كل ذلك يتعارض مع فكرتها السابقة عن المجرمين. ولكن من يدري!

وأفادت ساشا من أفكارها وأجابته قائلة:

«أعيش بالقرب من برمتهمام في مكان يدعى والسال. هل تعرفه؟»

«لا للأسف، لم تنح لي الفرصة أبداً لزيارة انكلترا، ولكنني أمل أن يحدث ذلك في يوم من الأيام لأنني أحب الانكليزيين»

وأوشكت ساشا أن تقول: «هل حقاً تقول؟» وهي تقوم باختطاف الفتيات الانكليزيات اللواتي ستقابلهن؟»

ولكنها أعجبت عن ذلك فقد صمتت على أن تكون لطيفة معهما كلّفها ذلك من جهد وقالت موجّهة كلامها إليه:

«أخشي ألا نجد الجو في انكلترا دافئاً كالجو هنا. ولكن في أي حال فالجو في روسيا بارد جداً في الغالب.»

الفتريا في سيرها من كوخ السيدة كاسيل ولم تلاحظ ساشا أي مظهر من مظاهر الاضطراب على وجه مارك. وقها يتجهان إلى الكوخ الذي لقه الظلام، وفجأة تولّف مارك وأمسك ذراعها وهو يقول في صوت هامس:

«انتظري.»

وشعرت ساشا بأطرافها تتجمد خوفاً وهي تسأله عما حدث:

«هس... أنصتي معي... إني أسمع صوتاً.»

كانا يقفان في ظل شجرة ضخمة يلتقيها الظلام من كل جانب وأنصتت ساشا ولم تسمع سوى صوت تنفس مارك وحفيف أوراق الأشجار تتحرك وشعرت بخوف لم تشعر به من قبل وكتمت أنفاسها عندما سمعته يضحك.

بلفظ قائلاً:

«أوه... نسيت.»

وبدأت ساشا تسرد أنفاسها قليلاً وهي تسأله:

«ماذا... نسيت؟»

«عالي... سأريك.»

وأمسكها مارك من ذراعها وهو يدفعها إلى حديقة الكوخ الخلفية حيث رأيت في الظلام الذي يسود المكان الأشباح الصغيرة لبعض الدواجن وهي تتراحم تنصق ببعضها البعض للدفء. وقالت ساشا وقد شعرت بالدماء الدافئة تجري في عرونها من جديد:

«الدواجن... نسيت كل شيء عنها... ولكن من يقوم باطعامها، فالسيدة كاسيل لا يمكن أن تتركها هكذا بدون طعام.»

«أنا أقوم باطعامها.»

ثم أضاف بلهجة ضاحكة:

«وفي مقابل ذلك نحصل على بيضها الذي نستخدمه في جميع وجباتنا... وعلى فكرة، هل تعرفين بعض الطرق الحديثة لعمل وجبات من البيض؟»

«نعم، ولكنك لم تقدم لنا البيض مع الحساء.»

«سنقدم لك البيض المقلي على العشاء، هل تحبين ذلك؟»

«لا، شكراً سأكتفي ببعض الشراب.»

وأضابت وهي تحدث نفسها:

«إذا فُتر لي العودة إلى المنزل...»

وساروا معاً عبر الحديقة وكان الجو معيماً برائحة الزهور وشعرت ساشا بالدفء فجأة، فترعت معطفاً عن كتفها ووضعته فوق ذراعها، وكان قد

وصلاً في سبيلها إلى حافة الحديقة وبدأ البحر متنبهاً أمامها على البعد. كما
بدت أنوار الطريق متضاربة كمثل من الحاس وضع لموق الخطاء من الطفولة
السوداء يتلألأ في الظلام وقد بدت في السماء من خلال السحب التي تكثفتها
بعض الكواكب المتناثرة.

وولفت ساشا وأخذت تنفس بعمق وهي تنتشق هواء البحر النقي. كان
النظر راتعاً على البعد ألسود أحد اليخوت يتحرك على سطح الماء فبرحت
أفكارها وهي تتسائل. ترى من يكون على ظهر هذا اليخت وماذا كان هناك
اجتماع ما يجري على سطح البحر. وتهدت وحزت كتبها في يأس.

ويبدو أن مارك رافاً تهرّب كتبها لسانها بطريقة لطيفة.

«هل تشعرين بالبرودة طبعاً بنا للعودة إلى المنزل.»

«نأبست ساشا وقالت قد أوشكت أن تنسى وجود نور إلى جانبها وفاتت.

«لا. لا أشعر بالبرودة. إنني أنظر فقط إلى ذلك البيت.»

وسقط المصطف عن ذراعها وهي تشير بيدها إلى البيت وقبل أن تتحسني

لانتفاضة كان مارك قد سبقها إلى ذلك وهو يقول لها.

«سأجلب عليك أم طفلين أن تصحبه لموق كتيفيك.»

وأجابت ساشا بالنفي. وكان مارك يلف قريباً منها ولا تدري ماذا حدث

لها في هذه اللحظة إذ بدأ قلبها يخفق بعنف. وبدأت تشعر ليجاً بوجود مارك

معها كرجل ذي جنسية لاخاوم. ربا كان البحر الذي يحيط بها قد ساعد على

ذلك. وتعرّت بأصطراب شديد وهي تتسائل نفسها كيف تهرأت على الخروج معه

بلردة في مثل هذا الوقت.

وانعدت عنه قليلاً وأخذت تنظر إلى البحر وهي تتسائل متى تعين فرمستها

لتخلص من هذا الرجل الذي يلف بجوارها.

كانت ساشا تعرف أنها غريبة ولكنها كانت على يقين أيضاً من أن مارك
يلوحها مرة بكتير فقد كان ذلك واضحاً في بنية القوية ورجلته التي لا تقطعها
العين وهي ولفته وهو يرفع وجهه كأنه يتحدثها أن تحاولي الحرب.

ولكن ساشا أنها لو حاولت الحرب سينتهي لها فقط عن طريق استخدام

القيلة. وبدأ لها هذا أيضاً بعيد الاحتمال لأنه كان واضحاً أن مارك ليس رجلاً

غريباً كما أنه كان يرانها طوال الوقت.

وتهدت ساشا في يأس وهي تفتح نفسها بأن عليها الانتظار حتى تنفرد

بنفسها في غرفتها لتفكر في الأمر جيداً وربما أمكنها الحرب من التناقلة لهاها لا

تهدت كثيراً عن الأرض وتطل على الحديقة حيث تسر الحشائش الغزيرة.

وأفادت ساشا من أفكارها على صوت مارك بسأفك.

«ماذا حدث؟»

«لاشيء... كنت أفكر كم كان الوضع يختلف لـ...»

وتولفت عن الكلام فقد تذكرت أنها لا تريد أن يعرف حبيبة مشاعرها أو

الطريقة التي تفكر بها لأن ذلك لن يخدم خطتها في الناحية بأنها قبلت الأمر

الواقع.

«نعم أعرف ذلك وأشعر بأسف شديد. ولكن هذا الوضع لن يستمر طويلاً ولربما

جداً خلال أيام قليلة سينتهي كل شيء وسيكون المنزل تحت تصرفك وحده.»

ولم تزد ساشا على حديثه بل كانت تشعر أنه لم تعد هناك قائمة من

الحديث. كما أنه لم يعد يلتزمها أن تصدقه. اختلط عليها كل شيء التجربة

التي قرأها تصلح موضوعاً للصحافة أو نادراً يتحدث عنها الناس في المقاهي

ولكنها نادراً ما تحدث لأشخاص تعرفهم. ولم تكن تفكر في أي يوم من الأيام أن

تعرض لشكها. حتى في الصحيفة حيث تعمل سينومانيا بالجنون لو قدعت لهم

مثل هذه القصة.

وحاولت ساشا استجماع شتات ذهنها وخطرت لها فكرة بدت لها جريئة ولكنها عثرت إلى تنفيذها فوراً.

نظرت إلى مارك وهو يقول:

«ربما يكون هذا حقيقياً ولكنني يجب أن أتحدث إلى والدي هاتفيًا الليلة وإلا فإنه سيقلق بشأنني وقد يطلب من رجال الشرطة البحث عني هنا».

كانت ساشا تحاول أن تبدو متباعدة غاماً وهي تقول ذلك، لكنها شعرت بمدى سذاجتها عندما أمسك مارك بذراعيها وجذبها لتصبح في مواجهته وقال في رقة متناهية:

«قلت أن والدك سيلحق بك هنا... أليس كذلك؟»

ونظرت إليه بعينين ملأهما الخوف ولم تدر ماذا تقول وأخيراً ردت عليه قائلة:
«نعم هذا صحيح، ولكنه لم يفعل ذلك قبل اليوم، ويجب أن أحذره في الهاتف، فهو موجود في باريس الليلة، وسيظهر إلى نيس غداً ويجب أن أتصل به لأعرف موعد وصوله».

«أو حسناً في أي حال يمكنني أن أتصل به بنياية عنك، إذا عرفت رقم الهاتف».
فقاطعت ساشا قائلة:

«لا... لا يمكنك أن تفعل ذلك... ماذا يظن والدي إذا تحدثت أنت إليه».

كان مارك مازال ممسكاً بذراعيها وكانت تشعر بحرارة ملمس يده كالنار وأرادت أن تبعد عنه ولكن لدغتها الشديدة شعرت في قرارة نفسها بأنها لا تود ذلك.

وتنهدت ساشا إلى مارك برد عليها قائلاً:

«سأقول لوالدك أنني ابن أخت السيدة كاسيل وأنت مخطيت مني الاتصال به

لأنك متعبة جداً».

«لا... لن يتفعل ذلك فهو يتوقع سماع صوتي».

نظر إليها مارك طويلاً وهزها برق وهو يقول:

«إنك لا تقولين الصدق يا ساشا... إنك تحاولين أن تبدي صداقة ولكنني أعرف

أنك تكذبين، إنني أؤمنك لأن...»

ولكن ساشا لم تهمله ليكمل حديثه فقد صاحت قائلة وقد قاض بها الكيل

ولم تعد تحصل لملمس يديه على ذراعيها:

«لا تلمسني».

وتردد مارك قليلاً قبل أن يرفع يديه عنها وهو يتساءل قائلاً:

«هل أذيتك؟ هل تعتقدين أنني سألحق بك أي أذى؟»

وحاولت ساشا أن تهلك أعصابها إذ كان عليها أن تبدو هادئة فردت قائلة:

«لا... كل ما في الأمر أنني... أنني لا أحب أن يلمسني أحد».

ونظرت إليه فرأته يبتسم وقد لمعت أسنانه البيضاء في الظلام وقال:

«أد... أنتم الانكليز لا تحبون أن يلمسكم أحد، نعم، نعم، ولكن نحن في روسيا

لسنا كذلك؟»

«ربما، فإني لا أعرف ذلك، أليس من الأفضل أن نعود إلى المنزل؟»

«كيا تريدان، هل تريدان معطفاك؟»

وفجأة بدأت السماء تمطر، لم يكن المطر غزيراً بل خفيفاً وشعرت ساشا

بقطرات الماء على وجهها فصاحت قائلة:

«إنه شيء رائع».

ثم بدا وكأنها تذكرت شيئاً فصاحت:

«شعري».

فأمسك مارك بيده وهو يجذبها ضاحكاً إلى الكوخ وجذبها تحت إحدى
الهمائل وهو يقول:
«ماذا حدث لشعرك»

فهرزت ساشا رأسها وهي تضحك وتقول:
«صلفتك أمس ولا أريد أن يفقد روثقه سريعاً»

ونظر مارك إلى شعرها ومذ به قربت عليه وهو يقول:
«شعرك جميل... مثلك يا ساشا»

فرقت ساشا وجهها إليه وأخذت تهز رأسها كأنها كانت تحتج على قوله
وقالت:

«لا... لا... أنتك...»

ولم تستطع ساشا أن تكمل كلامها. إذ أجبت مارك بقترب منها
ولكنها انتهت فجأة وحاولت التخلص منه فلم تستطع بل كان يسك كتفها بقوة
وكانت تشعر بالدفء.

وأخذ مارك يسج وجهها وشعرها وهي تحاول أن تتبعد عنه حتى نجحت
في ذلك أخيراً وابتعدت وهي تقول:
«لا»

فضحك مارك وهو ينظر إليها قائلاً:

«هل لم أنتم معشر الانكليز لالحيون العناق؟ إذا كان الأمر كذلك فإني
لأفوقك إلى زيادة بلدكم»

وشعرت ساشا بكيانها يهتز وقد تسارعت ضربات قلبها واعتراها غضب
مناجيء من نفسها ومن هذا الرجل الوقح الذي يقف أمامها.

وجاهدت ساشا لاستعادة حبرتها. وكان الظلام شديداً واستندت بظهرها

إلى حائط الكوخ المجري وأخذت تنظر إلى المطر وقد بدأ يتهمر بغزارة.
وقبل مارك وهو ينظر إليها:

«ساشا جيلتان. لماذا تقارميني هكذا»

وردت ساشا بغضب قائلة:

«أمكن غيباً. ولماذا أسمع لك وأنت غريب عني قاماً. هل أسمع لك لغيره أنك
تريد ذلك»

قالت ساشا وقد أدهشتها وقاحتها وأدهشتها أكثر من ذلك اضطرابها أمامه
وعركها تعرف ليس سوى أحد الجرمين.

فرد مارك قائلاً:

«لا إنك على حق. لم يكن لطيفاً مني أن أفعل ذلك. وإنني أعطيت بشعة يا أنسة
ساشا دوليلي»

فإن مارك الجملة الأخيرة وهو يتعني أمام ساشا بقدر ما يسمح له به المكان
الطبيخ الذي يلقان فيه.

وحاولت ساشا التغلب على مشاعر الغضب التي أثارتها كلمات مارك
وهي تتعق نفسها بأنه عليها التزام الهدوء إذا كانت تريد أن تهرب من هذا المكان
أسرع ما يمكن. فقد كان مارك ذكياً ولحاً بدرجة كبيرة.

وأشاعت ساشا بوجهها بعيداً وهي تحاول التقلب على رقبها القوية في
بعض بدعا وضغته على وجهه لتسحق هذه الابتسامة الساخرة التي ترتسم عليه.

كانت ساشا تحب مكانها وقد أسندت ظهرها إلى الجدار وباب الكوخ على
سورها. لمعت بدعا غلبت في الظلام تحاول أن تتحسس مقيض الباب بمحاولة
منه ولم أنها لم تكن تعرف ما يمكنها أن تفعل بعد ذلك. وفجأة شعرت بيد
مارك تنقض على بدعا لتسبك بها وهو يتنهد بعنف ويقول لها:

«حسنًا... أرجوك أخبريني ماذا تفكرين؟»

وزعت ساشا يدها من يده وهي تقول:

«لاشيء... لم أكن أتذكر كيف يفتح الباب.»

بدأ عذرها سخيلاً حتى بالنسبة إليها، لمضحك مارك كثيراً وهو يقول:

«لا... لا أخطف ذلك... إنك لاتتقين في كمال... والآن أعرف لماذا تحدثت

المضخور إلى الكروخ... إنك تعتلين أن السيدة العجوز في الداخل.»

ولما لم تجب ساشا رفع مارك يده ولمس خذعا يرتق وهو يقول:

«أليس هذا صحيحاً؟»

وشعرت ساشا بتورة اجتاحها فأبعدت يده عنها بغضب وانفقت إليه وهي

تقول في غضب:

«أبعد يدك الفكرة عنى... لا تحاول شي بين كل أونة وأخرى لقد قلت لك إني لا

أحب ذلك... من تلقى نفسك بحق الجحيم.»

وانطلق من قم مارك صليخ خفيف وهو يقول:

«ألا... هذا أحسن كثيراً، هذه أنت عل طبيعتك من جديد، نعم كنت عاتلة بفرجة

اعتقدت معها أنك تدبرين أمراً.»

ومضت ساشا وهي تسبح مارك بمل ذلك وقد أدركت أنه أذكى

بكثير مما كانت تظن. وسكنت وهي لاتتري ماذا تقول أو حتى ماذا تفعل بعد

ذلك.

وبعد فترة مد مارك يده إلى جيبه وأخرج سلسلة من المفاتيح ولدهشتها

وجدته يدفع بأعدها في الباب ليلتحه وهو يقول لها

«ادخلي، انري بنفسك أنني لا أخطفك بالسيدة كاسيل مقيمة مكمومة في

المنزل.»

ووقفت ساشا على الباب مشردة فلل مال مارك وقد تظ صيرة.

«ألا تريدن الدخول؟»

«ولكن... لماذا... لماذا أعطتك السيدة كاسيل مفتاح الكوخ؟»

فاثسم مارك في سخرية وهو يرد قائلاً:

«حتى يمكنكى احضار الطعام للدياج، وأيضاً لاطعام الأسماك الموجودة داخل

الكوخ، والآن، أرجوك هل تريدن الدخول أم لا؟»

وأخذت ساشا نفساً عميقاً وهي تزد بالايجاب. وانجهت إلى الداخل ولم

يستغرق الأمر دقائق لتأكد أنه لا يوجد أحد في الكوخ. ووقفت تور على الباب

بنتظرها. وكان حريصاً للغاية ألا يلمسها وهي تزد به في طريقها إلى المخرج.

وبعدما خرجت من الكوخ أطفأ التور وأطلق الباب وبدأ الظلام في الخارج

وقد ازداد عن ذي قبل كما أن الظلم كان مازال مستمراً ولكن ساشا لم تكن

ترطب في البلاء أكثر من ذلك في هذا المكان مع مارك فوضعت معطفها فوق

رأسها وهي تقول:

«سأعود إلى المنزل.»

ثم ترددت قليلاً وهي تنظر إليه وتقول:

«هل تريد أن تستعمل المعطف معي لتجنبني من الفطرا.»

ولكن مارك أجاب بلهجة ساخرة:

«هل تعتدين أنه يمكنكى أن أفعل ذلك؟ لا. أخشى ما قد يحدث لي لو أنني لمستك

بطريق الصدفة.»

ولم ترد ساشا وأخذت تمش بسرعة متجهة إلى المنزل وعندما وصل كان

الرجلان قد ذبا وراأت ساشا التور مضاع في غرفة النوم الكبيرة. كان كل شيء

عادوا تماماً في المنزل وبدأ الطليخ نظفياً ومنظراً. ووقفت ساشا في غرفة الجلوس

تنتظر ودخل مارك إلى المطبخ وغر يأساً:
«هل تريدني بعض الشراب أو الطعام؟»

وردت ساشا بالإيجاب وهي تفكر في أنها لا تحتاج إلى كل قوتها إذا قُتِرَ لها
أُتْرُج من هذا المنزل قائم سيكون عليها أن تسير مسافة طويلة قبل الوصول
إلى الطريق الرئيسي.
ولمات ساشا.

«سأخذ شريحة من الخبز وبعض اللحم الذي أحضرته معي من المطار - هل تريد
شيئا منه؟»
«لا... شكراً... أفضل البيض».

وزرع مارك صبريته البيضاء وألقى بها على أحد القاعد وكانت قطرات
القطر تلعب فوق وجهه وشعره وأخذ يمسح ذقنه بيده.
ونظرت إليه ساشا وأخذت تراقبه وهي تحدث نفسها بأنه كان حتى الآن
مهذباً معها ولم يبد منه ما يدل على غير ذلك.
ثم نظر إليها مارك قائلاً:

«استرخي أنت، وسأقول أنا أعداد كل شيء فأنت ضيقتي - لا تنسي ذلك».
روت عليه ساشا وقد شابت لهجتها سخرية خفيفة:
«وهل أتيت إلى الفرصة لأشي ذلك؟»

وكانت ساشا تسهر بنوع من الراحة لأنه لم تعد هناك ضرورة للظواهر
بالقدر، والرقعة مع مارك وخاصة بعد ما حدث في الكوخ... حقاً كان مهذباً
ولكنه شخص مفرور للقائمة.

وجلس ساشا إلى اللانة وأخذت تراقب مارك وهو يعمل وقد لاحظت
كيفه خفيف يديه جيداً قبل أن يلمس أي شيء.

ثم أحضر الطعام الذي طلبته ساشا وهو يقول:
«سأقوم بإعداد الشاي، أم تفضلين بعض الشراب مع الطعام؟»

ولمكرت ساشا بسرعة أنها في حاجة إلى الاحتفاظ بجميع حواسها في حالة
تفقد ولكنها إذا رفضت قريباً امتنع مارك أيضاً واكتفى بشرب الشاي وربما
كان من الأفضل أن تدفعه إلى الشراب مما قد يساعد إذا حاولت الحرب منه.
فردت قائلة:

«سأخذ قليلاً من الشراب».

وأخرج مارك غنية رخيصة من خزائن المطبخ ثم ملأ كأسين وضع أحدهما
أمام ساشا وولع كأسه ليشرّب نخباً في مسحتها اجترعه حتى الحثالة جرعة
واحدة. أما ساشا فأخذت رشلة صغيرة وهي تفكر في وسيلة تدفع مارك بها
إلى المزيد من الشراب وأخذت ساشا تضع الزبد على الخبز بينما كان مارك
يقوم بإعداد البيض وكان ظهره إليها لمقاتل في هجة حاولت أن تبدو طبيعية
وهادئة:

«هل تريد المزيد من الشراب؟»

فرد مارك بالإيجاب بدون أن ينظر إليها.

انتبهت ساشا هذه الفرصة لتفرغ معظم ما في كأسها في كأس مارك ثم
أضافت إليه المزيد من الزجاجات.

وشعرت ساشا في هذه اللحظة بإسقاط شديد وأخذ قلبها يلفظ بعنف ولد
جفاً حلقها ولكنها في أي حال تفتت ماتريد.

وبعد قليل انتهى مارك من أعداد البيض وجلس أمامها إلى اللانة وكانت
رائحة البيض تفرح شهية وفات ساشا لو أنها وافقت عندما سألتها إذا كانت
تريد أن يمد لها بعضاً منه.

وبعد أن فرغ مارك من شرب كأسه الثانية وقع الزجاجة وهو يسأل سائلاً إذا كانت تريد المزيد ولكن سائلاً ودت فاجلة:

«لاشكراً... ثم أصالت وهي تنظاها بالشعاع:

«الشراب يجعلني أشعر برغبة في النوم»

فنظر مارك إلى الكأس الفارغة أمام سائلاً وهو يقول:

«جسناً... أعتقد أنك ستامرين جيداً»

ثم فوجئت به بقول:

«أخشي أنني سأسيطر إلى الأبد عليك»

ونظرت إليه وقد علت وجهها الحيرة والدخشة وهي تسأل:

«تتلى معي... أمين؟»

فرد تور وهو يمز كتفيه كمن يحاول الاعتذار لها:

«الفيلة... في غرفتك»

فقفزت سائلاً عن مقبضها الذي سقط وقد لوحث بهذا الروع وشعرت بالدهاء تجسد في عروقها وأخذت تنظر إليه وقد فغدت الفكرة على النطق. وظلت لوهلة أنها ربما تكون أفرطت في الشراب ولكنها تذكرت أنها لم تشرب منه إلا القليل وأنها في كامل وعيها.

وجاءت سائلاً جريلاً لتتالك نفسها وأخيراً قالت وهي تحاول النظاها بالدهاء:

«لا أفهم تماماً ما تعني بكلامك هذا»

فرد مارك وهو ينظر بأصابعه على كأسها الفارغة:

«أعتقد أنك تفهمين بعضي تماماً...»

ثم أردف قائلاً:

«كان لطيفاً منك أن تفرضي محتويات كأسك لي كأساً... ولكن لماذا فعلت ذلك؟
ولم كان يمكن أن تفرضي الشراب عندما عرضته عليك»

ولم ترد سائلاً فلم تكن قد أثابت بعد من تأثير هذه المفاجأة وشعرت بياس شديد ولم تدر ماذا تفعل أو كيف تفر مارك بهذا الأمر مع أنه لم يكن ينظر إليها. ثم هزت رأسها في يأس وهي تنظر إلى مارك الذي جلس في مواجهتها إلى المائدة وساء بينهما في هذه اللحظة جو من التوتر ينتشر بالانتشار في أي لحظة. ثم أخذت سائلاً تنقل بصرها في أنحاء المطبخ قبل أن تتالك نفسها وتساءله بصوت خافت:

«هل تتوقع مني بالفعل أن أفضي القليل معك... في الغرفة نفسها وخاصة بعد ماحدث في...»

وأشارت بيدها في الهواء نحو السيدة كاسيل - ثم أصابت وهي تهز رأسها:
«لا بد أنك تهذي أو تخرج»

«إنني أقدر شعورك... ولكنني أفسد»

ونظرت سائلاً إليه وشعرت أنه لا يبدو عليه الأسف كما يلزم فابتعدت عن المائدة في غضب إذ لم يكن يتدورها الهاء لفترة أطول في مواجهته مارك. واختلطت حليتها والمجهت مسرعة إلى غرفة الجلوس ثم فتحت الباب الأمامي للسزل ونظرت إلى الخارج. لكنها توقفت فجأة... حقا إن الحيرة أمامها تبدو في متناول يدها لكنها في الواقع بعيدة المنال فإن مارك لن يدها فثلث منه وسيلحق بها حتماً.

وبها هي في وقتها سمعت صوت مارك من خلفها وهو يلزم:

«أنت تعرفين جيداً أنه لن يملكك مفاجأة السزل»

كان مارك يلف قريباً منها جداً حتى كانت تشعر بلمس يده على قراعها

مع أنه لم يحاول لمسها على الإطلاق وشعرت ساشا بالاضطراب لكنها ردت في لحظة حاولت أن تبدو حادة تماماً:
«إنني أرفض أن... أن أبقى معك...»

فرد ثور في لحظة باردة:

«يبدو أنه ليس أمامك مجال للاختيار.»

وانلقت إليه ساشا ونظرت في عينيها قرأت فيها هذه القوة التي طامت شعرت بها في كل تصرفاته. وفي هذه اللحظة وأنه على حقيقته بعد أن نزع عنه الرقة والمرح وأخذت تنظر إليه في صمت. كانت تمنى في هذه اللحظة أن تنظر إلى أي شيء في العالم إلا وجه مارك، ولكنها رغماً عنها ظلت تزدق فيه وكأن هناك جاذبية لا تقهرها تدفعها إلى ذلك. وشعرت في تلك اللحظات والضوء من خلقه لا يكاد يظهر ملامح وجهه بأنه رجل غير عادي... أدركت أنه رجل قوي وأنه يعني حقاً كل ما يقول وليس أمامها بالفعل أي مجال للاختيار.

وشعرت ساشا ببرودة مفاجئة فأخذت ترتعش ثم رأت مارك يبحث عن شيء في جيبه وفوجئت به وقد أخرج سكيناً. فتسلكتها الرعب. وحاولت أن تركض لكنها لم تستطع بل تسمرت أقدامها ولم تفكر أن تفعل شيئاً سوى أن تراقب ما يفعله فوجدته يخرج السكين من جرابها بيده ثم يرفعها إلى أعلى في الضوء ليراها وهو يقول في صوت هادئ:

«هذه لك يا ساشا...»

٣- الدراجة النارية

شعرت ساشا برعب شديد وهي تنظر إلى السكين في يد مارك وغيلت لها أن سألها لا تقربان على حملها، فتصبت بحميتها واستعدت لفضها في وجهه إذا حاول طعنها. ولكن مارك وضع السكين في جرابها الجانبي في هدوء ثم مد يده إليها قائلاً ببساطة:

«ساشا... احتفظي بها معك.»

وتصبت ساشا ولم تقو على الرد ونظر مارك إلى وجهها وقد اكتسب برعب كبير. فقال لها ولد خالفت عيناه واعتلاً وجهه بتعبير غريب:
«وما بالك... هل كنت تعتقد أنني سأطعنك بهذه السكين؟»

هزت ساشا رأسها بالإيجاب. فلم تكن تتلوى بعد على الكلام. ومنذ مارك يده فأمسك بيدها وفتح راحتها ووضع السكين فيها ثم أغلقها وهو يقول وقد ارتسم على وجهه شبح ابتسامة:

«هذه السكين لك... لتدافعي بها عن نفسك... لو أنني حاولت مثلاً الاعتداء عليك.»

وأخيراً بدأت ساشا تستعيد هدوئها فتهدت بهنق وهي تقول:

«أنت تعني... أنه يمكنني أن... أن أحتفظ بها.»

ونظرت ساشا إلى السكين بخوف ثم سحبتها من جرابها فلمع نصفها المخاد في

الضوء وشعرت بالرعب وسرعت بوضعها في الجراب من جديد بيد مرتعشة ثم نظرت إلى مارك مستأنفة:

«ولكن كيف تضمن أنني لن أستخدم هذه السكين لأطعمك بها حتى أفكر من قرب»

«وأعرف أنك لن تفعل هذا»

«والثقت بنظراتها لفترة ثم أضاف قائلاً:

«أنت لا يمكنك استخدام هذه السكين ضدّي وأنت في حالتك الطبيعية. لكنني أعتقد أنه يمكنك ذلك في حالة الدفاع عن نفسك»

وبعد فترة مسّت أضاف مارك وهو يمزّ كنفه بالطريقة المذابة التي أعجبها منذ التقيته:

«ولكن... هل تعتدين أنني قد أحاول أن أفعل أي شيء... لا تخافي، مستكرين في أمان محمي وستشعرين بالبريد من الأسان وأنت تحفظطين بهذه السكين معك... أليس كذلك؟»

ونظرت ساشا إليه وهي تحس أنها أمام شخص غير عاديّ يمكنه أن يفهم تماماً كل ما تفكر فيه ولم تدر كيف أمكنه ذلك وبهذه الدقة وبدء اليأس يزعج إلى نفسها إذ أصبح واضحاً لها الآن أنه لن يمكنها الهرب من مارك فهو لن يتيح لها أبداً الفرصة لتحقيق ذلك... رفعت يديها ووضعتهما على عينيها حتى لا يرى مارك دموع اليأس والارهاق التي بدأت تتجمع فيها... وأخذت تفكر فيما كان يمكن أن يحدث لو أن نيجل حضر معها إلى المنزل وماذا كان يفعل في مواجهة مثل هذا الموقف ثم فكرت في والدها... لا بد أنه مبشّر بالفتن عليها إذ اعتادت الاتصال به هاتفياً أو كتابياً بعد وصوله لكنها تذكرت أنه متأكد في رسومه وأن يشعر بمضي الوقت قبل يومين أو ثلاثة... لكن ما الثلاثة فإن مارك

سيكون قد أفرج عنها... هل حلة سيفرج عنها!

وأثارت ساشا من أفكارها على صوت مارك بقول لها في صوت هادئ:

«والآن... اصعدني إلى الطابق العلوي... وسأنتبهك بعد قليل»

ورفرف مارك بنظر إليها وهي تعبر غرفة الجلوس ببطء لتصعد درجعات السلم في طريقها إلى الطابق العلوي. ولم تحتوي ساشا أن تنظر إلى الخلف ولذلك فاتها أن ترى التعبير الذي ارتسم على وجه مارك في هذه اللحظة واختلاج عضلات فكه.

وتوجهت ساشا إلى الحمام لتغتسل وتوقفت وهي في طريقها إليه بسباب إحدى الغرف. كان الضوء ينبعث من تحتها وكانت أصوات الموسيقى الخفيفة تخرج منها كما أمكنها أن تسمع صوتاً يشبه صوت قطع الشطرنج لتحرك طوق طاولة وفكرت أنهم ربما كانوا يقضون الوقت في لعب الشطرنج بانتظار شيء ما... ولكن ماذا ينتظرون؟ وما لم يجد ساشا جواباً لهذا التساؤل، مضت يحدّر إلى الغرفة حيث ستقام. وهي على يقين من عدم جدوى النزول إلى البهو ومحاولة الهرب إذ سمعت مارك يغلّق الباب بالمزلاج وهي تعرف تماماً أنه لن يمكنها فتح المزلاج لأنه قديم وسيحدث صوتاً غالياً يوقظ كل من في المنزل. ودخلت ساشا إلى الغرفة وأرقت تحت الوسادة ثم سحبت ملالة خفيفة وضعتها فوقها.

كان النظر مازال يتساقط في الخارج ووقدت ساشا في سكون وهي لا تتحرك ما تفعل وبعد فترة سمعت صوت باب الغرفة يفتح فامتدت يدها لا شعورياً تحت الوسادة لتطمئن على وجود السكين، ثم حاولت التظاهر بالنوم، وشعرت بمارك يلف في جوار السرير ساكناً... كانت تعرف أنه ينظر إليها فجاءت لصحو

مستغرقة في النوم ويبدو أن الظاهر أفتحه بذلك فعلاً، إذ شعرت بهديه تقديان إلى السرير والملاءة لتغطيتها في حذر شديد بدون أن يحاول أن يلمسها، ثم سمعته بعد ذلك يتجه إلى السرير الآخر المجاور لسريها ليستلقي عليه.

وحاولت ساشا أن تستعيد هدوءها وهي تستمع إلى صوت المطر يتساقط في الخارج، لكنها كانت تشعر بالاضطراب الشديد وهي تعلم أنها تنام في غرفة واحدة مع هذا الشخص الغريب الذي لم تتعرف إليه إلا منذ ساعات قليلة... الشخص الغريب العتيق السريع اللغضب يرقد على بعد بضعة أقدام منها.

وأذهلت ساشا هذه الخليفة وحاولت أن تفكر في مخرج من هذا الموقف، لكن عقلها قد توقف تماماً عن التفكير بعدما أرقعته أحداث الساعات الماضية.

وحاولت ساشا أن تظن مستيقظة لكنها كانت تشعر بارهاق شديد كما أن القدر الضئيل الذي تناولته من الشراب جعلها تشعر برغبة في النوم فأغمضت عينها ووضعت يدها على السكين استعداداً لأي حركة قد تبدو من مارك.

وعندما فتحت ساشا عينها من جديد كان صوت المطر قد توقف وتسلل ضوء القمر إلى الغرفة ونظرت ساشا حولاً فرائت مارك يرقد في سريه فتذكرت فجأة الوضع الغريب الذي وجدت نفسها فيه، جلست في السرير وقد تشبب وجهها عرقاً ورفعت يدها لتمسسه فقد وأت في منامها شخصاً يضربها بسكين فيصيحها في وجهها... وتذكرت السكين التي أعطاهها لها مارك قطعت يدها تحت الوسادة تطميناً إلى وجودها.

ونظرت ساشا إلى مارك وكان يستلقي على جانيه مديراً ظهره إليها وكان نفسه عتيقاً ومنظماً ووضع إحدى ذراعيه تحت رأسه. أما ذراعه الأخرى فتدلت من السرير وكان نصفه الأعلى عارياً وانعكس ضوء القمر على جلده النحامي

قيداً لا مَعاً.

وانزلقت ساشا من سريها في هدوء والوجهات حاوية القمطين في حذر شديد إلى باب الغرفة وفجأة سمعت صوت مارك اللوي يسأل:

«أين ذهبتين؟»

وتجسدت ساشا في مكانها والرتفعت ذلالت قلبها وهي تعجب في تعلم:

«إلى... إلى الحمام.»

«إذن ذهبتين... وتذكرني جيداً أنني احبكت الخلاق الأبواب وإذا حاولت فتح أي باب سأسمعك ولن يكتفك الحرب مني.»

وخرجت ساشا وعندما غادرت كان مارك مازال مستلقياً فوق سريه فاقبعت إلى النافذة لأنها شعرت بحاجة إلى هواء الليل المنعش. وكان الوقت حوالي الثالثة صباحاً وخيل إليها وهي تنظر من النافذة أنها تسمع صوت موسيقى يأتي من بعيد فشعرت بالوحدة والضياع وهي تتخيل أن الجميع يخرجون في الخارج ومازالوا يسهرون حتى الآن وهي محبوسة هنا وحيدة.

وأمسكت بحافة النافذة وتدلّت منها لتنظر إلى الأرض تحتها وكانت قريبة منها وابتت في هذه اللحظة لأن أن معها حيلاً تتدل به وتهرب.

ولاحظت وهي تلفت بجوار النافذة أن مارك يتقلب في فراشه ويبدو كأنه يفتد صبره لكنها ظلت في مكانها وسعته يناديها وتجاهلت ذلك فكرر نداءه فالتفتت إليه وهي تلول:

«عناً... ماذا تريد؟»

فقال متسانلاً:

«ألا يمكنك النوم؟»

فردت بالنفي وكانت صائفة في ردّها، كانت حواسها متيقظة تماماً في ذلك الوقت

تم اجابت وهي تعتمد مضابقتها:

«أريد الخروج للترفيه قليلاً».

ولم تمر ساشا ما إذا كانت قد تجت بالثعلب في مضابقتها لأنه لم يكن بإمكانها رؤية وجهه بل سمعته يضحك قائلاً:

«عودي الآن إلى سريرك».

«لا فاني أفضل اللولوف بجوار النافذة».

«الفضلون ذلك حقاً.. إذن سأقف إلى جانبك لمشاهد معاً ضوء القمر هل تريدون ذلك.. أعطد أنه سيكون شيئاً جميلاً».

وأخست ساشا بمارك بزيج اللطاف كأنه يستعد لمغامرة السرير فالتفت إليه سريعاً إذ كان وقرنه إلى جانبها أبعد شيء تستناه في هذه اللحظة، وسمعته يضحك كأنه كان يعرف شعورها تماماً.

وشعرت ساشا في هذه اللحظة بالتيأس والتضعف إزاء هذا الرجل القوي الذي يمكنه أن يحيط أي محاولة من جانبها للهروب.

وأخست بغضب مفاجيء، فالتفتت بدون وعي منها لتتذلل بنفسها فوق السرير وهي تضربه بقبضتها على صدره بعصبية وبلا هراة.

وبدا مارك كأنه يتوقع منها مثل هذا التصرف فجذبها بقوة لتسقط فوقه ثم غرخت بنفسها بعد ذلك ومارك يجثم ممسكاً بكلتي يديها ولا حيلة لها كحشرة صغيرة بين خيوط العنكبوت.

ثم قال مارك في لهجة جادة:

«والآن.. يا أنسة ساشا هل يعجبك هذا».

واستلقت ساشا في هذا الوضع ساكنة تماماً وهي تعجب من نفسها لأنها لم تشعر بالاشياء لذلك كما أن مارك لم يكن يمسك بيديها بطريقة تسبب لها أي

آلم وأخذت تفكر بما يمكنها أن تفعل. وأخيراً سمعته يقول:

«يجب أن تعرفي أنني أخذت الحزام الأسود في الجودو والكناراتيه وحتى لو لم يكن ذلك.. كيف تتخيلين أنه يمكنك وأنت الفتاة الرقيقة الثقب علي».

ولم تره ساشا لأنه لم يكن هناك أي مجال للمجادلة وأخذت تحرك رأسها في محاولة للتخلص منه ولكن مارك لم يتركها.

ثم شعرت بيده تتحرك لتلمس وجهها وهو يقول في صوت حائس:

«إنك جميلة جداً.. جميلة يا أنسة ساشا دوتيلي».

وشعرت ساشا بشفتيها تحترقان فاضطربت وحاولت التخلص منه فجذبها مارك بقوة ليجلسها فوق السرير ثم ركع إلى حواها وهو يلمس قائلاً في صوت خشن:

«لا تحاولي أن تفعل ذلك مرة أخرى يا صغيرتي.. ألا تدريين خطورة ما تفعلين أم أنك بريئة إلى درجة أنه لا يمكنك أن تدركي ما يمكن أن يفعله أي رجل في مثل هذا الموقف».

ثم ترك السرير فجاء ووقف وهو يجذب ساشا ليولفها قائلاً في صوت رقيق:

«مازلت في انتظار ذلك».

وكان مارك مازال محتفظاً بيدها في يده وشعرت بأصابعه وهي تضغط برفق على راسها وقلبكها شعور بالراحة لكنها ردت وهي تظلم بأنها لا تفهم قصده:

«لا افهم ماذا تعني.. هل تعتقد أنني مدمت هنا...» فسبقتها كما يحلو لك أن تقول لأنه يمكنك أن تفعل معي أي شيء».

ثم اضطرب صوتها وهي تقول:

«أني أكرهك».

«لا إني لا تكريمي فأنت لم تعرفني بما فيه الكفاية حتى تقولي ذلك، ربما لا أحببتني بسبب تصرفاتي معك ولكن تكريمي... لا... وإني على يقين من أنه لا يحبك أن تكرمي أحداً»

ونظرت ساشا إلى وجهه الذي كان يلعب تحت ضوء القمر وقالت:

«أنت لا تعرف عني شيئاً على الإطلاق»

«ولكنني أشعر أنني أعرفك حق المعرفة»

ثم توقف لحظة قبل أن يقول:

«ولكنك لم تردني على سؤال، ألا تعرفين ما يمكن أن يحدث عندما ترقين في أحضان رجل مستقل فوق سريره، أجيبي على سؤالي لأنك إذا كنت تجهلين ذلك فيجب أن تعرفي الآن قبل أن تجدي نفسك في موقف صعب»

وجذبت ساشا يدعا من يد مارك في الغضب وهي تقول:

«لست في حاجة لأن أعلم مثلك»

فابتسم مارك وهو يمزح كتحية قائلاً:

«حلاً في أي حال وجدتكم بعدم التعرض لك، كما أن معك السكين»

ثم أضاف في لحظة ساخرة:

«وأكون غيباً جداً لو أنني حاولت التعرض لك في مثل هذه الحالة أليس كذلك؟»

ولم ترد ساشا عليه بل التفتت إلى سريره ثم سمعته يقول لها:

«كنت أعتقد أنك تريدني الخروج للتريض قليلاً»

فكتهدت ساشا بعقب وهي تقول:

«نعم كنت أود ذلك... ولكن...»

«إذن فلندعها... تعالي فإني لم أعد أشعر برغبة في النوم... سنذهب للتريض قليلاً ثم نعود لنشرب بعض الشاي أو القهوة ثم نعود للنوم بعد ذلك»

قال مارك ذلك في لحظة جعلت ساشا تشعر كأنها لمضي معه أجازة لطيفة وشعرت بتوسع من الاضطراب وهي تفكر في أنها ستقوم معه بزيارة في ضوء القمر في الغد. إنها لم تفعل ذلك من قبل ولذلك للسائلة تبدو مثيرة بالنسبة إليها حلاً إنها لا تحب مارك ولكنها تشعر بالراحة للخروج معه الآن لأنها لا تستطيع النوم وتشعر بألم الحاجة إلى الخروج في الهواء المنعش خاصة بعد الموقف العنيف الذي حدث بينهما.

واندلعت الدماء الحارة في عروقها وهي تستعيد ما حدث فأشاحت بوجهها بعيداً عن مارك حتى لا يرى ما ارتسم عليه من تعبير ثم قالت وهي تنحنى فوق حقيبته ملابسها:

«حسناً... أحضر معطاً خفيفاً لأضعه فوق كتفي»

والجهد مارك إلى باب الغرفة وأضاء الثور ثم وضع قميصه فنظرت إليه ساشا وهي تقول:

«هل هذا يكفي... ألن تشعر بالبرد؟»

«إن صدري في الطبخ، فلنذهب الآن»

ثم بدا وكأنه تذكر شيئاً فقال:

«نسيت السكين... أين هي؟»

«نحت المائدة... ولكن لماذا تسأل؟»

وراقبه يتحني ليأخذ السكين لمسأله في لحظة حاولت أن تبدو هادئة وقد بدأت تشعر بالخوف والشك:

«ولكن... لماذا تأخذ السكين؟»

«لماذا... لأنه...»

ثم مز كتحية وقد بدا عليه أنه لا يعرف ماذا يقول ثم أضاف:

«لأن الليل قد يكون خطراً، تعالي الآن...»

وتبعته: ساشا إلى أسفل وعندما وصلا إلى الجهو قال بصوت خامس:

«سأذهب إلى المطبخ لأعصر صدر بيشي، انتظري هنا»

وبعد قليل عاد وزججا معاً من المنزل وسارا في السر الحجري متجهين إلى

الطريق الرئيسي وعندما وصلا إلى المنطفة التي تقايلا فيها أول مرة توقفت

ساشا وهي تسأل:

«أين سيارتي؟»

«لا تخافي سيارتك في أمان، وضعتها في الكراج خلف المنزل»

وبعد أدوات الرسم الخاصة بي موجودة فيها»

«نعم ويحكك أخذها غداً لترسمي إن أردت»

وسألت ساشا في نوع من التهمك:

«هأأين أرسم، على الشاطئ؟»

فايضم: مارك وهو يلمل:

«في الحديقة... حيث يمكنكني إن أردت»

وشعرت ساشا بأن شيئاً ما قد تغير في مارك: وإن لم تكن تعرف تماماً ما

هو وشعرت بأن التوتر يبتها بدأ يخلف إلى حد ما

وكان الطريق وعراً ومن الصعب في الظلام رؤية التلويحات المهيبة البارزة

لكن مارك كان يضيء في ثقة تامة، وتذكرت قوله أنه حائز على الجوائز الاسود في

الهند والكراتية إنها تسمده. وهي في الحقيقة تفسد كل ما يقول كما لو كان أنه

لم يقوياً متعمداً، في أي حال مهما كان مارك سباً فانها ترى فيه بعض

صفات القروية ومن أهمها عدم إيذاء أية سيدة. وكان ذلك يشعرها بالأمان إلى

حد ما. وحتى في الوقت نفسه كانت هناك أشياء أخرى كثيرة تشير فلها وتوافقها

ولا تستطيع أن تجد لها تفسيراً.

ونجاة شعرت قدم ساشا فاستندت إلى ذراع مارك ففجرت به وهو يتألم من

ألم محاولتها خربه بالقضيب الخشبي في المطبخ وسألته:

«هل يوجد في المنزل بعض الاسعافات الأولية؟»

فقال وقد بدت الخيرة على وجهه:

«نعم... ولكن لماذا تسألين؟»

«لأنني أريد أن أخمد لك كتفك»

فتسحك مارك وهو يحيط خصرها بلماحه وقال:

«لا تلي بالاً إلى ذلك فإن ذراعي قوية كما ترى ويمكنها أن تعض بفتاة جميلة

متفك»

لم تشعر ساشا بالضغط ومارك يضع ذراعه حول خصرها، لكنها لم

تكن تريد أن يشعر بذلك فتظاهرت بعدم الارتياح.

كان الجو جميلاً في ذلك الوقت وصفت السماء قاماً من السحب فبدت لامعة

وظهر القمر عالياً وواضحاً في السماء وتوقفت ساشا عن السير ووقفت تنظر

إلى القمر وصاحت قاتلة:

«أوه... انظر إلى القمر، كنت أعتقد أن شكله سيغير بعد وصول الانصال إليه

لكنه كما كان دائماً»

ونظر مارك وهو يبتسم لكنه لم يعلق بشيء ووفقاً صامتين بعض الوقت

على الطريق الذي يحيط به الأسوار العالية ونجاة شعرت ساشا بالبرودة

تسري في أوصالها فطالت في صوت خامس:

«أأريد العودة إلى المنزل»

فلماذا... عذراً حدث؟»

«...لا تني بأنه مجرد».

ولم تدرك ساشا ماذا تقول لقد شعرت في هذه اللحظة بأن هناك شخصاً ما يراقبها ففالت:

«إنتي... خائفة».

«خائفة... مني؟»

«لا... ليس منك... إنتي خائفة من شيء... من شخص... أشعر أن هناك من يراقبنا».

ونظرت ساشا إلى وجه مارك فرأته وقد اختفت الابتسامة عن شفتيه ثم فوجئت به بحتفتها ويقول شيئاً باللغة الروسية ثم عانفها وهمس في أذنها قائلاً:

«حاولي التصرف بطريقة طبيعية. وضعي ذراعك حول خصرى ونحن نعود إلى المنزل. هل تفهمين؟»

وسارا معاً يبط في اتجاه المنزل وهو يتعمد الضحك بصوت مسرور بين أن وآخر كما لو كانا يتهاوسان بما يتبر الضحك.

وأدركت ساشا فجأة سبب التغيير الذي طرأ على مارك. ولماذا وافق على الخروج معها. أراد استخدامها كأداة ليضلل أحدهم.

ودخلا إلى المنزل وبعد أن أغلق مارك الباب التفتت إليه ساشا وصغفته بكل قوتها. وأغضب ذلك فترة صمت قال بعدها مارك في صوته غامض:

«لماذا فعلت ذلك؟»

«أنت تعرف لماذا، لأنك استخدمتني كأداة لتحقيق أغراضك».

وبدت آثار أصابعها بوضوح على وجهه ولكنه لم يحاول أن يرفع يده ليحس الضمة واكتفى بالنظر إليها وقد ظهرت في عيونه نظرة غليظة وهو يقول:

«ولفرض أنني فعلت ذلك».

«نعم لا أحب أن استخدم كأداة... أعرف أنك تقوم بعمل سيء. وربما يكون الأشخاص الذين يراقبونا كذلك أيضاً ولكنني أرفض أن يستخدمني أحد لتحقيق أغراضه... هل تعتقد كذلك أيضاً وأنهم كانوا أنتي زوجتك المرفوض أن تكون معك الآن لقضاء شهر العسل».

لهز مارك كتفيه قائلاً:

«ربما... لست أفهم... ربما خيل إليك أن أحداً يراقبنا. فإنكم معشر النساء توهمن أحياناً رؤية أشياء أو سماع أصوات».

ومن المؤكد أنك أيضاً توهمت ذلك. ونظرت إلى وجهك ورأيت التعبير الذي طرأ على تعبيراتك في تلك اللحظة. وربما كان هذا هو السبب في أنك أخذت السكن معك».

قالت ساشا وهي ترفع يدها إلى قمها إذ شعرت بتعب مفاجئ. فأخرج مارك السكن من جيبيه وناولها إياها قائلاً:

«بخلي... احتفظي بها معك».

ولكن ساشا كانت تشعر بغضب شديد فطوحت بالسكين من يده في نصية لتقع على الأرض على بعد بضعة أقدام عنها وقالت:

«احتفظ أنت بها أنا على يقين أنك أقدر مني على استخدامها».

ثم صاحبت في ضيق وهي تطلب منه أن يترك ذراعها فقد شعرت بقبضته كالفرلاد وهو في قمة غضبه.

فرد مارك وهو يزهق قائلاً:

«أحياناً أشعر أنه قد يكون من السهل جداً بالنسبة إلى لو أنك رجل».

«فناً، أترك ذراعى». قالت أقوى بكثير من أي شخص آخر. أليس كذلك؟»

ثم أضافت وهي تدلك راسها بعدما تركها:

«قلت لي من قبل، أنني يجب أن أعرف أي شخص جيداً قبل أن أصرح بأنني أكرهه... حسناً... أعرفك الآن جيداً وأكرهك.»

ثم التفتت ساشا بعد ذلك تصعد درجرات السلم وهي تركض متجهة إلى غرفتها من غير أن تحاولي الالتفات إلى الخلف.

لم يبعد مارك إلى الغرفة مرة أخرى. واستلقت ساشا على سريرها وقد جفعا النوم طويلاً. وعندما استيقظت بعد ذلك كانت أشعة الشمس تملأ الغرفة ونظرت إلى سرير مارك فوجدته خالياً واهتت للحظة ريثما حدث له شيء وراعاها هذا الحائط. ولكنها أدركت أن شيئاً لم يحدث فقد بدأ الهواء يحصل إثباتاً راتحة الطعام والقهوة.

جلست ساشا في سريرها وقد بدأت أحداث الليلة الماضية تعود إلى ذهنها. وكان الباب موارباً ورائحة الطعام الثقالة تصل إليها فشمعت بالجوهر... لكنها لم تكن تستطيع النزول ومواجهة مارك بهذه البساطة، بعد كل ما حدث وبعد كل ما قالته وقولته بعد.

وبينما هي تجلس في سريرها شاهدة اليمين حول ركبتيها تفكر في أمرها. سمعت نقرأ خليطاً على الباب ثم سمعت صوت مارك يسأل: «هل يمكنك الدخول؟»

وتفكرت ساشا إلى الباب وهي لا تدري ماذا تقول ثم قالت: «نعم يمكنك الدخول.»

ودخل مارك يحمل قدحاً وهو ينزل في صوت بدأ بارداً: «صباح الخير، أحضرت لك قدحاً من القهوة، هل تريد أن أحضر لك فنطرون إلى الغرفة؟»

ولا، سأتناول في المطبخ إذا كان ذلك ممكناً»

وبالمطبخ، ولكن ليس قبل أن تشربي القهوة وتغتسل.»

وجلست ساشا. وأخذت تفكر وتجري بصورها في أنحاء الغرفة. اليوم هو يوم الجمعة وهو أول أيام عطلتها والجو يبدو صعباً وجيلاً. ومن المؤكد أن تستمتع به أن استمتع، ولو سارت الأمور بطريقة طبيعية فربما توجهت اليوم لزيارة العمدة هاري في كان. كما وعدتها من قبل، ثم ربما مارست هوايتها في الرسم بعد ذلك في حديقة المنزل، ولكن كل شيء تغير، وهي لا تدري ماذا تفعل.

ونجاة خطرت لها فكرة صممت على تنفيذها. لن تخبر شيئاً، كل ما يمكن أن يحدث هو أن يرفض مارك ولن يضجرها ذلك في شيء فهي تتوقع معه مثل هذا الموقف.

وعندما جلست إلى مائدة الاطعام قالت له:

«وجدت عملي بإيادها في كان اليوم، ولذلك قالتها سوف تكون بانتظاري ولا أريد أن أسبب لها أي قلق فهي سيدة عجوز.»

ثم استظرفت بعد أن استجمعت شجاعته:

«هل يمكنك الذهاب لزيارتها؟»

«حسناً... يمكنك الذهاب... شرط أن أذهب معك.»

وتفكرت ساشا إلى مارك الذي رفع قدمه وهو ينظر إليها بشروع من «سخرية ثم لاق:

«هل اعتقدت أنني سأرفض طلبك؟»

فلما ردت بالإيجاب أضاف قائلاً:

«من تعجبين لماذا وافقت علي طلبك؟ لأنني أعتقد أنك تقولين الصدق هذه المرة. لا كره حدث بالنسبة لي والدك. فأنت لا تحسني الكذب يا ساشا.»

ثم نظر إليها وقد ارتست على شفتيه ابتسامة خفيفة وقال:
«سأذهب في الحال... إن أردت ذلك».

فخفت ساشا بهرعا سريعا وهي تحاول إخفاء نظرة الفوز التي ارتست
في عينيها وقد تراجعت في رأسها جميع الاحتمالات.
ثم استطرد مارك:

«ولكنني أحطرك منذ الآن، لا تحاولي الهرب. سأرافقك بدقة».

وحاولت ساشا أن تضحك وهي تقول:

«يا إلهي، بالطبع لن أفعل ذلك، فإن أي شيء من هذا القليل قد يقتل عملي
المنجوز».

فسأها مارك:

«هل لي أن أسأل، كيف يكون لك عمه فرنسية؟»

«إنها ليست في الواقع عمتي بمعنى الكلمة، ولكن والذي كانت له صداقات
وطيبة في فرنسا أثناء الحرب حيث كان في مهمة سريعة، والعمه ماري والدته
أحد أصدقائه الذي توفي منذ فترة، لكن والذي استمر على علاقته بالسيدة
العجوز التي تقوم بزيارتها من وقت لآخر، وهي تبليغ من السن الآن حوالي
الثمانين عاماً».

ثم خظرت لساشا فكرة مفاجئة فنظرت إلى مارك في حيل وهي تسأل:

«إنك لي... أعني...»

«ماذا، هل تعتقدن أنني قد ألوم باختطافها».

ثم أضاف وهو يبتسم:

«أعتقد أنه لا يوجد مكان في المنزل للمزيد من الأشخاص، أليس كذلك؟ في أي
حال تذكرني أن كل شيء يتوقف على الطريقة التي ستصرفين بها، هل تفهمين؟

ما أعني؟»

فردت ساشا بالانجذاب وهي تترك تماماً معنى كلامه.

قال مارك وهو يرفع طبقه عن المائدة:

«حسناً، بدأت في التمتع قليلاً، وأعتقد أنك ربما تصديق الآن أنني أعني تماماً ما
سبق أن قلته لك، أنني لن أحاول إيفاءك».

ولم ترد ساشا بل رفعت طبقها عن المائدة واجهت إلى المعلقة وهي تقول:

«سأقوم أنا بغسل الأطباق».

«إذا كنت تؤدين ذلك حقاً».

وشكرها مارك ثم خرج من المطبخ وتركها بتفردا. ونظرت إليه ساشا وهو
يخرج من المطبخ وشعرت في هذه اللحظة وهي تنظر إلى ظهره بمواطف مختلفة
تتنازعها ولم تكن تفهم تماماً شعورها، ولكن الشيء الوحيد الذي كان مؤكداً لها
أنه لا يمكنها أبداً أن تفهم هذا الرجل المدعو مارك.

وصعدت ساشا إلى حبرتها حيث بذلت ثيابها وغسلت ثياب اليوم السابق
وخلفتها لتجف وكان الجو حاراً والسياء صافية تماماً ورأت ساشا في البعد
ضائفة تلمح في السماء وامتلاء الجو يشهد الأضواء، وكانت تنامي إلى أذنيها زقزقة
العصافير وهي تغرد فوق ألحسان الأشجار.

وأخذت ساشا تفكر فيما يحدث بعدئذ، وهل سيتركها مارك تقود سيارتها
ليستويين الصغيرة أم سيصغر هو على قيادتها.

وبعد تناول الغذاء صعد مارك إلى الطابق العلوي ثم نزل إلى البهو وقد
سار ملاسدا وبدا وهو يهبط السلم شخصاً آخر وبدت عليها الدخبة فنظر إليها

مارك مبتسماً وهو يقول:

«الحق... إنه أنا حقيقة».

فأنته في برده:

«هل انتدت على التكر عند الخروج؟»

«التكر»

قال مارك في دهشة وهو يخلع نظارته الشمسية وينزع عن رأسه قبعة من القش كانت متناسبة تماماً مع الذي يرتديه ثم أضاف:

«هل تسمعن ذلك تكرر؟»

ولم يكن مارك قد غيّر كثيراً من ملابسه، لكنه كان يبدو في شكل مختلف ولا عظمت ساشا أنه يضع في جيب سرواله الخلفي سكناً.

ووضع مارك النظارة الشمسية فوق عينيه من جديد وبدأ طة جذاباً للغاية وهو يضع قبعة القش فوق رأسه في غير أكرات تم تلبس من ساشا وأمسك بزعانها وأخرجها معاً من المنزل.

وانجها إلى الحديقة الخلفية وانظرت ساشا مارك وهي تعتقد أنه سيحضر سيارتها بدلاً من ذلك فوجئت به وقد أحضر دراجته النارية.

وتللكها رعب شديد وهي تنظر إلى الدراجة وصاحت قائلة:

«أوه... لا... أرجوك»

فتنظر مارك حوله وقد أدهشه موقفها ثم ارسمت على جبينه تعظيية وهو يسأله:

«ماذا حدث الآن؟»

«كنت أعنفد أننا سنجيب بالسيارة»

«لا فالدراجة أفضل وأسرع، تعالي اجلسي خلفي على القعد وضعي ذراعك حولي»

وعصبت ساشا على شفتيها في غيظ ولكنها لم تستطع أن تفعل شيئاً سوى

د قتل لأمره وتجلس خلفه على الدراجة البخارية في عذر فالتفت إليها وهو يقول:

«ضعي ذراعك حولي، وإلا تعرفت للقطوع»

فردت وهي تصر على أساتها:

«لم أركب دراجة من قبل»

حقاً تلويح... ثم أضاف ضاحكاً: «إن تستكون بحرية مشوية بالنسبة إليك»

ردت ساشا بالاحياء في صوت مضطرب ووضعت ذراعها حول مارك وقد التصقت به ودفنت وجهها بين كتفيه العريضتين، وشعرت بالدفء والقوة.

انقضتها الشديدة وجدت أنها ترتاح إلى وجودها بالقرب منه.

ثم سمعت صوت مارك يقول لها:

«سكي بي جيداً يا ساشا فانتا شيئاً السيء»

وأدوار الدراجة وانطلق بها فأغضت ساشا عينيها وقد تللكها رعب شديد، كان الموقف أصعب مما كانت تتصور وتثبتت به بقوة وهما جيطان المر المحجري.

واقبت تتصور في كل لحظة أنها ستسقط عن الدراجة، ثم أخذ يدور بالدراجة وهو يحاول الهامى التمرات الخيرية البارزة فازدادت تشبها به ودفنت وجهها في

شعره في انتظار ما سيحدث.

ثم عدأت السرعة فجأة ففتحت إحدى عينيها وهي تسأل نفسها إذا كانوا قد

وصلوا إلى المكان وجاءها صوته عمتلاً:

«ساشا هل يعجبك ذلك... امسكي بي جيداً»

فأجابته في صوت ضعيف:

«نسى أصلي»

تصيح مارك ونظرت هي حولها فافتشلت أنه خلفه، السرعة لأنها وصلا

إلى نهاية المرح حيث يلتقي بالطريق الرئيسية من السيارات ثم التفت إليها
سائلاً:

«هل تشعرين حقاً بالخوف؟»

فأجابته بالإيجاب فأوقف الدراجة وهو يقول:

«إنني أسف، هل ترغبتين في العودة إلى المنزل لتستقل السيارة؟»

وهفت سائلاً للحظة أنه يزعج فظفرت إليه سريعاً ولكن وجهه كان جاداً
وكان ينتظر إجابتها. ظهرت رأسها ببطء وهي تقول:

«لا، إن كل شيء على ما يرام. كل ما في الأمر أنني لم أهدأ من هذه التجربة من
قبل.»

«تركنا الطريق الوعرة، أما الآن فإن هذا الطريق مهد ولن أمضي سريعاً.»

والتفت سائلاً ريثما وهي تقول:

«أعرف ذلك، أشعر أنني ضيقة. أرجو أن أغضى في طريقك.»

وأدار مارك الدراجة من جديد وانطلق بها ولتعتلها الشديدة لم تعد تشعر
بأي خوف وأحاطته بذراعها بدون أن تنتبهت به كما كانت تفعل من قبل.

وبدأت تستمتع بالركوب على الدراجة. ومارك يتنقح بها بين السيارات في
سرعة متوسطة ويبدو أن مارك لاحظ ذلك فصاح قائلاً:

«تسعين الآن يا حسن... أليس كذلك؟»

فردت في صوت عال حتى يكتفه سماعها:

«نعم... إنه شيء رائع فعلاً.»

وتوقفاً بالقرب من كان للتزود بالوقود وفي مواجهة محطة الوقود مقهى
سليم مع حديقة. ووقفت سائلاً تنظر بنفخ إجابتها مارك وقالت تسمر

سابقها ترتعشان بعد طول جلوسها فوق مقعد الدراجة ثم التفت إليها مارك
وقال:

«هل تريدان شراباً؟»

فظفرت إليه مشددة:

«هل يمكننا... أعني.»

فانقسم مارك. وقد فهم قصدها وكان يبدو جذاباً للغاية وقد غطى عينيته
بانظارة الشمس وقال:

«يمكننا ذلك... علمت تصبرين بحكمة، هل تفهمين ما أعني.»

فأجابته بالإيجاب. كانت تسمر بعضس شديد فقال مارك:

«تعال، وستصقن في مكان منزل عمك بيتاً تجلس وتتناول الشراب.»

وترك مارك الدراجة في اللحظة وأمسك بذراعها وهما يهبران الطريق إلى

المقهى وشعرت سائلاً في هذه اللحظة بمدى شأله حجمها بالفارسة معه. ثم
قال:

«هل تجلس في هذه الحديقة؟ أعتقد أنها أفضل.»

فردت سائلاً في صوت خافت:

«ولا يرجع فيها أحد.»

ولكن مارك سمعها فاندجر ضاحكاً وهو يقول:

«إنك تريدان في حالة أمن الآن، وعيّل إلى أنك بدأت تعودين إلى حالتك
الطبيعية.»

ثم أضاف وهو يحجب أحد القاعد في ركن الحديقة لتجلس عليه:

«هل تعزلين يا سائلاً أنني بدأت أشعر بالقلق عليك.»

«هل حقاً ما أقول؟»

قالت ساشا ذلك وهي تحاول ببصرها في اتجاه المكان إذ كانت تسيب
الأسر به محاول أن تختزن في ذاكرتها صورة دقيقة لكل ما يحيط بها. كان المكان
طبيعياً ومحيط بالحديقة من الخلف جدار حجري شق عليه بعض النباتات المتسلقة
وانشرت في المكان بعض الزهور الصفراء وكان المكان يفرح برائحة الورد
والشوم وتروح من العطر لم تستطع أن تميزه.

وجاء الخادم يسأل مارك عما يريد، وقد بدا عليه أنه في عجلة من أمره
تبعه إلى المائدة التي يجلس إليها غلاة شقراء يقرعها خارج الحديقة.

وبعدما طلب مارك قدحين من عصير الليمون أخرج عليه سكاكر وقدم
سيكارة لباشا لكنها رفضت وجلست تراقبه وهو يشعل سيكارة ويضع
الولاعة على المائدة أمامه. وكان يجلس في نوع من الاسترخاء وقد غطى جبهته
بالتعب. وعلى الرغم من أنه لم يكن يلدنرها أن ترى عينيه تلكين أخضياً ودا
النظارة التي سببها لكنها كانت تترك قناعاً أنه يراقبها مما جعلها تشعر بالاضطراب
ونظرت ساشا حولها. كانت الحديقة خالية إلا منها... وقطة سوداء صغيرة
تجلس فوق الحائط الحجري. وفتحت ساشا حقيبتها تبحث عن مرآتها
فاكتشفت اختفاء جواز سفرها. وراها مارك تغتشي في محتملات الخفية فسألها

«نعم تبحثين... هل فقدت شي؟»

«نعم. جواز سفري. لا أبعد في الحقيقة.»

ثم نظرت إليه عبر المائدة وسألته:

«هل أخذته؟»

«أنا. ولذا أفعل ذلك.»

قربت ساشا وقد شعرت أن مارك وراء اختفاء جواز سفرها:

«هل من الضروري أن تخبئ. وراء هذه النظارة. لا أستطيع رؤية وجهك.»

تخلع مارك النظارة ببطء وهو يقول:
«هل هذا أحسن.»

أصاف وهو يضع النظارة فوق المائدة:

«قد تشعرين على جواز سفرك عند العودة إلى المنزل.»

حرباً أبعد وتكتفي على يقين أنه لم يسلط من حقيبتى. إذا كنت تريد أن توهشي
بذلك.»

ثم تولف قد حطر الخادم في ذلك الوقت قدحين من عصير الليمون. ثم
استقرت:

«إننى أخلق الخفية جيداً ولا يمكن أن يسقط منها شيء. كما أنك دخلت الغرفة بينما
كنت مستغرقة في النوم.»

«أه... إنك تفكرين بطريقة سليمة.»

فسأله ساشا في الغم:

«هل فعلت ذلك؟»

«فعلت علاناً.»

«أخذت جواز سفري.»

وشعرت ساشا في هذه اللحظة بغضب مفاجئ. إنها لم تقابل في حياتها
رجلاً يمكنه أن يدفعها إلى الغضب بهذه السهولة. كان يشعرها واثناً وفي كل لحظة
أنه سيد الموقف.

وهو مارك رأسه وهو يقول في هدوء:

«نعم أخذته. ولكنه في أمان وسأعيدك إليك قائماً تريد الاحتفاظ به لبعض
الوقت.»

وانسعت عينها وشحب وجهها من شدة الغضب وهي تسأل:

«ولكن لماذا؟»

«لتأكد من أنك فعلاً ساشا دونيلي كما تقولين.»

«ولكن كيف؟ كيف يمكنكم ذلك؟»

«لنا وسائلنا الخاصة.»

فنظرت إليه ساشا وهي تقول في الصراخ:

«إنني كما قلت لك من قبل... ساشا دونيلي.»

ثم امتدت بعدها في حركة بالسة إلى عثقتها لتخرج منه سلسلة فيها قلادة

صغيرة وهي تقول:

«انظر! اقتح هذه واقرا ما كتب بها. اعطتها لي أمي قبل موتها وقد احتفظت بها

دائماً.»

ومد مارك يده وأخذ منها القلادة ثم فتحها بعناية وكانت بداخلها صورة

السيدة دونيلي وقد حفر على لحاء القلادة تاريخ إهداء الصوريينغ عبارة: إلى

ساشا من ماما.

وبعد أن انتهى من قراءة ما كتب عليها مدت ساشا يدها فأخذتها منه

وهي تسأل:

«هل تعتقد أنني زورت ذلك؟»

واندفعت الصراخ إلى عيشتها وهي تكرر سؤالها:

«هل تعتقد ذلك فعلاً؟»

«لا... لا أعتقد ذلك.»

وأحتضت ساشا رأسها لتضع القلادة من جديد حول عنقها وكانت أصابعها

توتش فلم تتمكن من إغلاق السلسلة فقام مارك من مقعده وولف خلفها

وهو يزيح شعرها الحريري عن عثقتها في محاولة لمساعدتها.

وشعرت ساشا بعثتها يجرى تحت ملبس يده الدافئة وظلت ساكنة حتى

انتهى من إغلاق السلسلة وهو يقول:

«كان من الضروري أن تفعل ذلك. وأن تتأكد من شخصيتك.»

ثم عاد إلى مقعده ولم تقو ساشا على النظر إليه في هذه اللحظة وهي تقول:

«إنني لا أرى داعياً لذلك.»

«ستعرفين كل شيء بعد وقت قليل. والآن أعطيني عنوان عمتك.»

«إنها تقيم في رقم ٦٤ شارع تيمسو.»

«نعم. أعرف المكان.»

وأشار مارك إلى الخادم ودفع الحصاب. وبعدها انتهت من شرب قندجها

ولفت ساشا وتبعها مارك واحداً نظارته من جديد ثم أمسك بذراعها ليعبر

نوعاً الطريق متجهين إلى حيث توجد الدراجة البخارية.

وقالت ساشا في لحظة الظهور على كثير من الحرارة:

«الستين فلن أحرب منك. أعرف تماماً عدم جدوى أي محاولة معك.»

«لأنهم مارك وهو يقول:

«محتاً هذا يجعل المسألة أسهل بالنسبة إلي.»

وشعرت ساشا في هذه اللحظة أن مارك يمكنه دائماً التحكم في الانفعالاته

وأنه لن يكون من السهل عليها إثارة أو محاولة مضايقته.

وجلست ساشا مرة أخرى وراء مارك على الدراجة البخارية وقد أحاطته

بذراعها وأحبتها معاً إلى حيث يوجد منزل عمتها في كان وهي تتسائل عما

يمكن أن يحدث بعد ذلك...

وخلت سائنا ومارك إلى منزل العمة ماري وكان المصعد معطلاً
وبينا كانا يصعدان السلم التفت إليها مارك قائلاً:

«تذكرني، أني أقيم في منزل السيدة كاسيل يقردي، هل تفهمين؟»

ولما ردت سائنا بالاجاب أضاف مارك:

«وتذكرني أيضاً، أني اراقبك بدقة ملا لحاولي أن تفعل أي شيء.»

فردت سائنا قائلة:

«أخبرتك من قبل أنها سيدة عجوز.»

«نعم، أعرف ذلك، وعلى فكرة هل تتحدثين معها بالفرنسية أم بالانكليزية؟»

وألمحت معها باللغتين فهي تزد أحياناً التحدث بالانكليزية وعندما تشعر
بالتعب من ذلك تعود إلى التحدث بالفرنسية.

وهز مارك رأسه ولم يقل شيئاً، وبدأت سائنا تسأل نفسها إذا أخطأت

عندما فكرت في زيارة العمة ماري، لقد كانت الفكرة تبدو رائعة لها، ولكن ربما

كان عليها أن تكون أكثر حذراً.

ولمست حقيبتها وكانت قد وضعت فيها ورقة ولها، إذ كانت ترجو أن

تسكن من كناية مذكورة صغيرة للوسيلة العمة ماري وتدعى هورتون

وهي تقابل المنزل كل مساء بعد تأدية أعمالها، وإن لم تكن قد توفرت بعد ما

تكتب في هذه المذكرة.

وكان باب شقة العمة ماري موارباً، واستقبلتها وهي تجلس في الشرفة

ودعنها مريحة إلى الدخول، وكانت العمة ماري قصيرة القامة سمينة إلى حد

ما ولم تكن تستطيع المشي إلا بصحبة، لذلك كانت تلقي معظم وقتها في

الشرفة الواسعة تحيط بها أصص الزرع التي تحبها والتي تقول عنها أنها

صديقتها.

وكان شعرها مقروصاً إلى الخلف وشعر أثر الزمن واضحاً في عينيها فتحول لونها

إلى الأزرق الباهت وكانت ترتدي دالماً زياً أسود يحل ياقته بروش صغير

وشعرت سائنا بخفة في حلقها وهي تتقدم لتحية السيدة العجوز وتحنني

إلى جانب المقعد ذي العجلات الذي يجلس عليه. ثم قالت:

«أهلاً، يا عمتي ماري، إنه شيء جميل جداً أن أراك مرة أخرى.»

«أهلاً بك يا صغيتي، ولكن من هذا الشخص الذي حضر معك، هل هو

صديق؟»

«نعم، أود أن أقدم لك...»

وتردت للحظة قبل أن تضيف:

«مارك إنه يلزم في منزل السيدة كاسيل.»

ثم قدمت السيدة العجوز إلى مارك الذي انخرط منها وقد أمسك في يده

البصري بالقبعة والظلمة النسبية ومد يده اليمنى لتحياتها، وانحنى على يد

السيدة العجوز بطريقة لطيفة جعلت سائنا تشعر أنه لا يمكن أن يكون هو

الشخص الذي عرفته من قبل.

ورفعت العمة ماري حاجبها وهي تنظر إليه وأدركت سائنا على الفور

أن السيدة العجوز أعجبتها مارك الذي بدا ناعماً في مظهر جذاب ومهذب

عذبة ونظرت العمة ماري إليه وهي تنزل بالفرنسية:

«أهلاً... ثم أضافت بالانكليزية، ولكن من أي بلد أنت أيتها الشاب. اجلس، اجلس أنت أيضاً يا ساشا، فإن عنتي يؤمني وأنا أنظر إلى أعلى هكذا أفضل».

قالت السيدة العجوز ذلك بعدما أحضر مارك ملعدين وضعها متجاورين أمامها، وشعرت ساشا في هذه اللحظة برغبة هستيرية في الضحك إذ حضر معها وهو لا شك يطمع في استجواب السيدة العجوز ومعرفة بعض التفاصيل منها، ولكن يبدو أن العكس تماماً يحدث فالعمة ماري هي التي بدأت في استجوابه، كما تمردت أن تعمل دائماً، إذ كانت على درجة كبيرة من حب الاستطلاع.

وسألت ساشا:

«أين هورثون».

لكن السيدة العجوز لم تنبه إليها بل كانت تتحدث مع مارك.

واستمعت ساشا في نوع من الاستياء واللوعة إلى الحديث بين مارك وبستها التي أضاء وجهها وهي تسأل في دهشة:

«موسكو، إن حديثك هذا يعيد الذكريات إلى نفسي».

«هل ذهبت إلى موسكو».

«نعم، ألم تقل ساشا لك ذلك؟ أقيمت في موسكو بضع سنوات عندما كنت طفلة صغيرة، كما أقمت في إحدى شوارع لينينغراد، وكان والدي في ذلك الوقت يعمل مهندساً».

وأخذت ساشا تراني مارك يستمع إلى السيدة العجوز قبداً لها وجهه. وقد لاورته الحشرة التي كانت تلازمه، كما فارتقت شفتيه تلك الالتهام المتكلفة التي لاتمني شيئاً. وكان يستمع إليها في خدوه تام ويحيب على استنها ويوجه إليها بعبارة استلته. وبدا ساشا في هذا الوقت كأنها قد نسي وجودها

تماماً وانتبهت فرجة صمت سادت بينها لسأل من جديد عن الوصفة. وبدا كأنها فرجا بهذا السؤال إذ نظر إليها مارك والسيدة العجوز كأنها ينظران إلى دخيل قطع عليها جبل الحديث فجأة - وأجابت العمة ماري:

«هذه المرأة الغبية... ذهبت لحضرة زفاف إحدى أبنائها، ولا بد أنها ستشعر بالأسف لأنها لم تتمكن من مقابلتك».

ثم أضافت:

«أرجوك يا ساشا أحضري لي الصندوق الذي احتفظ فيه بصوري ستجدينه هناك، في ذلك الركن».

وأحضرت ساشا الصندوق فوضعت العمة ماري على ركبتيها وأخذت تلك الأشرطة الموضوعة حولها بأصابع مرتعشة فتقدم مارك الفتحة وهو يقول:

«أستأذنك يا ميمي».

ونظرت العمة ماري إلى ساشا وغمرت لها يركن عينها بينما كان مارك يمتني رأسه تلك الأشرطة. وكانت ساشا تعرف تماماً مغزى هذه النظرة من السيدة العجوز فشعرت بالأسف وهي ترد لأن عمتها عرفت حقيقة مارك. ثم خاطرت لها فكرة فقامت من مقعدتها بطريقة حاولت أن تبدو عشوية وأمسكت بمحبتها في يدها وقالت:

«سأذهب لأعداد القهوة بينما يشاهد مارك هذه الصور، أنودين ذلك يا عمتي».

«نعم، بالتأكيد، فالتنا السيدة العجوز بالفرنسية ثم أضافت بالانكليزية:

«المرتين مكان كل شيء». وستجدين أيضاً كعكة شوكولاته صنعتها هورثون قبل مغادرتها المنزل».

وهزت ساشا رأسها وهي تبتسم وتسرع في اتجاه المطبخ وقد وضعت عليها لحي إعطها.

كان المطبخ في نهاية عمر شقيق يؤدي إلى غرفة النوم والحمام وغرفة الملابس، وشعرت ساشا وهي تدخل المطبخ بأن الخط يخدمها فلم تكن تعلم بمنزل هذه الفرصة. وضعت إبريق القهوة فوق الموقد وفتحت حقيبها بسرعة لتبحث عن الزبدة والفلم لكنها سمعت فجأة صوت مارك. وقد وقف بباب المطبخ وهو يسألها:

«هل أقوم أنا بإعداد القهوة أو تقطع الكعكة؟»

واضطربت ساشا لمستطحت حقيبتها على الأرض ولعل أن ننحتي لأنقطاعها انحنى. مارك والتفتها لمستط الفلم منها فوق أرضية المطبخ.

فقال مارك وهو يلهم لها الحقيبة والفلم:

«أسف جداً... فقد كسر من الفلم»

وبدأت ساشا تستعيد هدووها وهي تقول:

«كنت أظن أنك تشاهد صور العمى ماري»

وليس بعد، فالسيدة يوفيه مازالت تفتش عن الصور التي تريدني مشاهدتها، ولذلك فكرت في الحضور إلى المطبخ لمساعدتك ولاتتلمي بشأن عميتك فقد وضعت المائدة الصغيرة إلى جوارها وهي سعيدة الآن تفتش في صندوق الصور ثم أضاف بلطف:

«هل كنت تعتقدين أنني سأتركك تعيبن عن نظري؟»

«لا أعرف تماماً، هل هذا مهم؟ في أي حال إذا كنت تريد مساعدتي فاناك ستعبد الصندوق الذي توضع فيه الكعكة فوق ذلك الرف أما الأطباق فتستبعد داخل الثولاب».

وتظاهرت ساشا بعدم الاهتمام لوجود مارك معها في المطبخ وهي تتأمل موقعا لم تدخلت إلى الحمام فانه سيكون من الصعب عليه أن يتيهها.

وبعدما انتهت من إعداد القهوة توجهت مع مارك إلى الشرفة حيث جلس لثلاثتهم يتناولون كعكة الشوكولاتة مع القهوة وقد جلست العمة صاري لتتجاذب أطراف الحديث باللغة الروسية خفيفة مع مارك.

ووجدت ساشا نفسها تستمع إلى الحديث الذي كان خليطاً من الانكليزية والروسية. كان الحديث شيقاً فقد تكلمت من خلاله معرفة تفصيلات عن حياة مارك منذ كان صغيراً يذهب إلى المدرسة ويقيم في دروب موسكو التي يكسرها الجليد في الشتاء. وكانت ساشا تشعر أنه يرغم أي شيء فانه يقول الصدق وهو يستعيد ذكرياته مع السيدة العجوز التي كانت تريد معرفة كل شيء عنه.

وأخذت ساشا لوالده وهو يتحدث... وكانت تجد نفسها وكأن شيئاً يجعلها إلى أن تستمر في النظر إليه مع أنها كانت تريد أن تركز أفكارها على ما ستكونه في الذكرة التي تود أن تتركها لهورتوس.

كان مارك يجلس على مقعد خشبي وقد انحنى إلى الأمام يشاهد الصور التي تعرضها عليه السيدة العجوز كانت أشعة الشمس تعكس على وجهه فبدأ في لون ذهبي. وكان يعلن على كل صورة باللغة الفرنسية أحياناً وبالروسية أحياناً أخرى. ويبدو أن تعليقاته أعجبت السيدة العجوز التي بدت السعادة واضحة على وجهها وأخذت تشعرك حتى دمت عينها وقالت:

«إنك لعرب أيا الشاب... ماكان يجب أن أسبح لك بالتحدث إلى هذه الطريقة ولكنني سعيدة بمحادثتك»

وانسحبت ساشا في سكون وتوجهت إلى الحمام وقد اختلعت الفكرة في ذهنها وقطعت الورقة التي كانت تحتفظ بها في حقيبتها إلى نصفين لأنها اعتقدت أن مارك سيفتش الحمام بعد خروجها منه وستدفعه جيد أحد تصلي الورقة. أما

النصف الآخر لمستطعم طورتوس في المطبخ داخل إبريق القهوة حيث سيكون أول شيء تراه في الصباح بعد عودتها.

وبدأت ساشا تكتب بعناية ووضوح على نصف الورقة واستخدمت في ذلك قلم الحواجب وبعدما انتهت وضعت إحدى الورقتين تحت كرم المناشف في خزانة المفاتيح أما الأخرى فخبأتها في صدرها وعادت إلى غرفة الجلوس وقد تسارعت دقات قلبها.

وبعد فترة نظر مارك إلى ساعته ثم نظر إلى ساشا قائلاً:
«أعتقد أنه يجب أن نقضي الآن».

وظهر الضيق على وجه العمة ماري التي قالت:

«ولكن لا يمكن أن نقضي بدون أن نشتري معي قليلاً».

لأسرعت ساشا بواقفتها على ذلك... واستغرق الشراب يضع دقات ثم سألت العمة ماري مارك فجأة:

«ألا تدخن أيها الشاب».

ورفع مارك حاجبيه في حيرة وهو يقول:

«نعم أذخن... ولكنني...».

فقاطعتها السيدة العجوز قائلة:

«إذن، أعطني سيجارة أرد أن أذخن وأنا أتناول الشراب».

وبدأت الدخنة على وجه مارك فضحكت العمة ماري وهي تقول:

«هل نعتقد أنني سيدة عجوز مخوفة، إنك لم تعرف عني كل شيء بعد هل تحضر لرويتي مرة أخرى».

«يسعدني ذلك يا سيدتي».

قال مارك ذلك وهو يشعل لها سيجارة ثم نظر حوله يبحث عن منقشة

السكاكر لسرعت ساشا بالولوف وهي تقول:
«سأحضر لك واحدة من المطبخ».

وتوجهت إلى المطبخ وقد أتاحت لها الفرصة أخيراً لتنفيذ خطتها ثم عادت إلى الغرفة بعدما وضعت الورقة في إبريق القهوة وشعرت براحة حاولت جاهدة ألا تنعكس على وجهها وهي تنظر إلى مارك.

وتوجه مارك بعد ذلك إلى الحمام فالتفتت العمة ماري قمرته فبأيه فالتحت وأمسكت بيد ساشا وجذبته إليها وهي تقول:

«إن هذا الرجل لطيف للغاية... هل ستحضر به معك مرة أخرى، جعلني بعديته أعود أر بعين سنة إلى الزوا».

فايستمت ساشا وهي تقول:

«بالمطبخ يا عمتي... سأحاول ذلك».

«لا تدعيه يفلت منك، لن تجدي رجلاً مثله بسهولة».

وافقت ساشا على كلام عمتها وهي تشعر بأنها تكره نفسها بسبب ما تنوي فعله. لكن لم يكن أمامها ما تفعله غير ذلك والعمة ماري نفسها سببها الدهول عندما تعرف حقيقة هذا الشاب الذي أعجبها كثيراً.

وأخيراً غادرا شقة العمة ماري وعندما وصلا إلى أسفل السلم وضع مارك يده فوق جبينه وهنهم شيئاً بالروسية ثم قال:

«تسبب عليه سكاتري ولولاني عند عمك على المائدة، انتظري هنا سأعود قروا».

وتخرجت ساشا إلى الطريق ووقفت تحت شرفة العمة ماري تلوح لها ولم تفكر في الحزن فلن يمكنها أن تبعد كثيراً لو حاولت ذلك الآن وسيتمكن مارك من اللحاق بها، وضاحت تقول لعمتها:

«نسي مارك سكاكره ولا يحته».

«حسناً... إنها هنا».

وأخذت ساشا تفكر. هل عاد مارك إلى شقة عمته ليفتش المهام. هل من المعلوم أنه لم يجد الورقة التي تركتها في المهام.

ونظرت ساشا إلى أعلى من جديد لمأت عمتها وهي تتحدث إلى مارك الذي سمعت صوته يره عليها ثم رآته يدخل إلى الشرفة وأخذ عليه سكاكره وبلاسته ثم التحى وقبل السيدة العجوز في وجنتها ولم تدر ساشا لماذا شعرت بهذه الغصة في حلقها وهي ترى مارك يبتل عمتها.

وولفت ساشا في انتظار مارك أمام المنزل وكانت أصوات الأطفال الذين يلعبون في مكان قريب تصل إليها كما ترامت إلى أذنها من مكان بعيد أصوات السيارات وهي تتراجع. ثم سمعت صوت عمتها تودع مارك فالتفت: «أرجو أن تعود إلى زيارتي قريباً».

وعاد مارك ووقف إلى جانب ساشا وأخذ كلاهما يلحان لعمته التي جلست في الشرفة ترأفها وهما يركبان الدراجة البخارية.

كانت ساشا تعرف أن عمتها استمعتت تماماً بزيارتها لها وتولاهما في هذه المنطقة شعور بعدم الانشراح وهي تفكر في أمر الورقة التي تركتها الرصيفة عمتها ومما يمكن أن يحدث.

التزم مارك القصبت وهما في طريق العودة. وتولفها في طريقها لشراء بعض الطعام. وعندما وصلا إلى بداية الممر الحجري الذي يوصل إلى منزل السيدة كاسيل تيسيت ساشا يمارك استعداداً لمناخ هذا الممر الوعر.

ولجأة توقف مارك في منتصف الممر وأدركت ساشا السبب في ذلك. أو ربما ظنت أنها تعرف السبب ولكنها كانت مخبطة إلى حد ما.

وطلب منها مارك النزول عن الدراجة فامتثلت لأمره وهي تعد نفسها للتظاهر بالأسف والدعشة عندما يجبرها بعثوره على الورقة في المهام وسألتها تودع.

«هل تعرفين سبب توقفني هنا؟»

«فالتت وهي تتظاهر بالبراءة».

«هل حدث خلل ما في الدراجة؟»

«أحياناً أشعر برغبة شديدة في أن أصقعه على وجهك. طيبت منك أن تكوني صريحة في تصرفاتك... فهاذا حدث».

قال مارك ذلك وهو يخرج من جيبه ورقة مطوية ثم فتحها وأخذ يقرأ: «هورنوس توجهي إلى مركز الشرطة وأبلغهم أنني سحبت في أيدي ثلاثة رجال روس في منزل السيدة كاسيل... لا تبليغي عمتي ماري بذلك إن الأمر عاجل... صدقيني».

وعضت ساشا على شفتيها وأحنت رأسها وهي تتظاهر بالأسف وخيبة الأمل وعندما رقت رأسها من جديد انظر إلى مارك كانت عينها غفلتان بالدموع... وقالت وهي تهز رأسها من جانب لأخر بينما تتظاهر بالحرق الشديد: «أرجو أن أتحاول سرري».

لم يكن الغضب الشديد يبدو على مارك الذي أخذ يثقل صوته وهي تقول له أرجو لا تضربني ثم قال:

«إذا كررت مثل هذا التصرف فسوف أضطر إلى ذلك... صدقيني...»

ودفعت ساشا تحملان فيه وهي تنظر قرأتها يخرج ولا عنه من جيبه ثم أشعلها وأحرق الورقة التي كان يحتفظ بها بين أصابعه.

ثم لدغتها الشديدة فوجت به يخرج الورقة الثانية التي تركتها في اللطخ

وهو ينظر إلى وجهها. ولم تكن ساشا في حاجة هذه المرة إلى التظاهر بالجزع أو غيبة الأمل فقد شعرت في هذه اللحظة بأن الدنيا تدور من حولها وأن الأرض تبيل لحت قدميها وشعرت أنها على وشك الانهيار. فاستندت إلى مقعد الدراجة لتستريح نفسها من السقوط.

وسألت وهي لا تكاد تقوى على التنطق:

«ولكن... كيف...؟»

قليل وهو يحرق الورقة.

«هل أبذل لك غيباً إلى هذه الدرجة؟»

وأخذت ساشا تنظر في فزع شديد إلى الورقة وهي تحترق ثم سمعت

مارك يقول لها:

«والآن... اصعدني خلفي»

فقطرت إليه في بأس وهي تقول:

«لا لن أفعل...»

فصاح مارك مزيجاً:

«اصعدني، نند سيرى معك، أعدوك بما قد يحدث لو أنني فقدت أعصابي»

فهزمت ساشا رأسها وهي تقول:

«إنني لا أقوم بذلك...»

وكانت ساشا حائرة أنها شعرت في هذه اللحظة بأنها لم تعد تهتم بشيء بعدما امتلأت نفسها باليأس.

ولم تجد ساشا مكاناً تتجه إليه سوى المنزل فكيف يمكنها القرب من مارك معه الدراجة. سارت في اتجاه المنزل ولكن مارك جذبها بنفسه من الخلف لتصيح في عواجهته وهو يأمورها بركوب الدراجة.

والثقت نظراتها فقالت ساشا:

«ليت العمة هاري تراك الآن... لقد أعجبت بك... لا لن أركب الدراجة وسأسير على قدمي إلى المنزل».

وازداد المولف توتراً وهما يفقدان في مكانها في صمت تام... ولم تعد ساشا تلتصق بمواجهة نظراته كأن الأمر لم يعد يعنيها وأخيراً قال مارك:

«أنت تعرفين جيداً أنه يمكنني إيجارك على ركوب الدراجة لو أردت ذلك»

«هل حلاً تستطيع ذلك؟ إذن لماذا لا تفعل؟»

ونظرت ساشا إليه في تحد فترأت في عينيه نظرة بملامحتها تضطرب ثم قال في

صوت هادي: جلد

«إنني معجب بشجاعتك»

«لماذا لا أخاف منك»

وكانت ساشا في هذه اللحظة تشعر لعلاً أنها تخطت مرحلة الخوف بعد

كل ما تعرضت له من أحداث... قلل مارك:

«لا أتري أن أضعك إلى الخوف مني...»

ثم علت شفتيه ابتسامة خفيفة وهو يهبط:

«حسناً... سيري إلى المنزل كما تشائين وسوف أتبعك»

وبدأت ساشا في السير متجهة إلى المنزل وهي تشعر بالحرى بلاءً وجهها وتسلها وكل جزء في جسمها وشعرت بجعلها يحترق تحت أشعة الشمس وفتت في هذه اللحظة أن تجد نفسها في مطبخ المنزل الهادي تتناول شرباً مثلاً.

وسمعت ساشا صوت الدراجة البخارية خلفها لكنها لم تحاول الالتفات إلى الخلف وشعرت في هذه اللحظة أنها انتصرت على مارك ولكن ما اللامعة.

وبدا على مارك أنه يحاول الانتظار حتى تبتعد قليلاً ليلحق بها في

الدراجة، فتباطأت في سيرها، ربما لشدة الحرارة، وربما لأنها كانت تريد مضايقتها.
كان الوقت أصيلاً وهو موعد تناول الشاي وتساوت سائتا في سرعتها ترى
عازداً اعتدوا من طعام وكانت تشعر بصراع شديد، وقتت ثوباً لم ترفض ركوب
الدراجة وراء مارك لتصل إلى المنزل سريعاً.

وتوقفت سائتا إذا شعرت أن قطعة من الحجر دخلت في جذاتها المفتوح
وانحنى لأخراجها. وفي هذه اللحظة بدأ تورر يتحرك بدراجته البخارية وداخلها
شعور بأنه ربما دهمها بالدراجة فأسرعت خطأها بطريقة لا شعورية والتفتت إلى
الحظاء قراء.

ولم تنبه سائتا إلى الحفر في الممر وجدت نفسها فجأة وهي تهوي إلى
الأرض وقد سقطت حبيبتهما لتستقر على الحشائش بعيداً عنها.

وشعرت بالذوار ولم تدرك إلا ويد مارك قد ألحها وتولفها على قدميها من
جديد. ونظرت في استياء شديد إلى ثوبها وقد لظحته الألقار وفجأة شعرت بأنها
لم تعد محتمل أكثر من ذلك فالتجرت باكياً، جذبها مارك إليه وأحاطها
بذراعيه فأصبح وجهها ملاصقاً بصدوره.

وشعرت سائتا لتدشها الشديدة براحة كبيرة وهي تضع وجهها على صدر
مارك وتستمتع إلى دقائق قلبه، وبعد أن هدأت قليلاً سمعت مارك يسأل
«هل أحببت؟»

فهرت رأسها بالنفي وهي تقول:

«لا، لا أعنيك ذلك، ولكن ثوبي...»

«لا يهم، يمكنك أن تتسلبه.»

وقد مارك يده إلى شعرها وأخذ يربت على رأسها وغفلها وشعرت حارة
براحة، ورغبة في النوم، واكتشفت الفزعها الشديد أنها تستمتع بوجوده.

ذراعي مارك وهو يربت على رأسها في حثا، وأنها لا ترغب في الابتعاد عنه.
وحاولت أن تفتح نفسها بأنها حتى لو أودت الابتعاد عنه فلن تتمكن من ذلك إذ
كان يسلك بها بقوة.

وسألتها مارك:

«هل تشعرين بحسن الآن؟»

فأجابت بالنفي، وفي صوت هادئ، رفعت قال:

«سائتا»

«لأن سائتي تؤذي الآن... وأنا... لم أسمح لك بأن تعانيني.»

«التقصي... لن تعودى إلى البكاء من جديد؛ لم أفعل ذلك إلا لشهدتك لأنيك
كنت تبكين... وأنت تعرفين أننا نأكل الأطفال دائماً ليكنوا عن البكاء إذا سقطوا
أو أصابهم آذى.»

وشعرت سائتا بالغضب فجأة فقد ظنت أنه يسخر منها من جديد لدفعته
لكن فوجئت بعيداً عنها، وظهر الغضب والاستياء على مارك وهو يسألتها في
سنة

«فعلت ذلك؟»

«جاءت وهي تحكي أوهها»

«لماذا تعرف لماذا فعلت ذلك إنكم معشر الرجال كلكم سواء...»

«سائتا كلنا سواء.»

«لنظر مارك إلى سائتها وظهر الاهتمام على وجهه فانتحي قليلاً وهو يلحى:

«بعض طرف رداك قليلاً.»

«بعض غيرة.»

«بعض غيرة... سائتا حديثاً إذ ضحك مارك وهو ينحني

بعض طرف رداك فوراً وكبتها فاندفعت نظره سدياً في ثورة دلته

إلى الابتعاد عنها وهو يضحك ويقول:

«أرجوك... انظري إلى سائق... الدماء تطلق تويك... صدقتي. لم أقصد شيئاً وهذا هو كل ما في الأمر».

وتظرت ساشا إلى أسفل قرأت الدماء تطلق ثوبها بالتعليل وقد حدثت ركبته نتيجة سقوطها في الطريق... وشعرت ساشا بالهزول لتصرفها مع مارك فقالت قياً يشبه الاعتذار:

«أوه... كان يوسعك أن تقول ذلك منذ البداية...»

ترفع مارك يديه في يأس وهو يقول:

«حارثة ذلك... في أي حال... تعالي الآن... اركبي فوق الدراجة لنعود إلى المنزل حيث يمكنك أن أفسد لك جرح ركبته».

وأمسك تور بيدها وأجبه إلى حيث تلف الدراجة وانجني في الطريق يلتفت حليتها.

وبعد دقيقة وصلا إلى الكراج الذي يقع خلف المنزل. ودخلت ساشا إلى المنزل وهي ترفع طرف ثوبها في حذر وبعد أن دخلت قال مارك:

«أجلسي في المطبخ، قاتني سأفسد ركبته أولة ثم يمكنك بعد ذلك أن تشعري تويك».

جلست ساشا في سكرن وقد شعرت أنها تعبت من كثرة لعدها وعناها الذي لم يجر عليها سوى اللعاب... وربما يكون من الأسهل الآن أن تفعل كل ما يطلبه منها.

وأجلس مارك مستغرق في الاستعائات الأولية وانحنى أمامها فقالت له:

«لا داعي لذلك، أستطيع أن أقوم أنا بهذه العملية».

تنظر مارك إليها بدون أن يفتح فمه بكلمة ثم أخذ يظهر ساقيها ببطء من

التناس... وأخذت تراقبه وهو يقوم بهذه العملية وهي تحاول أن تكون صبيحة الأكمل لكن صبيحة أفلتت منها غتظر مارك إليها مبتسماً، فقالت له وكأنها تنهيه:

«أنت سعيد الآن... ليس كذلك! إن وجهك يطق بذلك».

«لا... ليس هذا صحيحاً، ولكن كنت أنت السبب في كل ما أصابك بأمراضك على المشي».

«كنت أترقب إلى الخلف عندما سقطت، اعتقدت أنك ربما تحاول أن تدهشي بالدراجة».

وتوقف مارك فجأة عن تضسيد ساقيها وتنظر إليها وقد تغيرت تعبيرات وجهه وبدأ عليه الغضب لكنه فالك نفسه سرعاً وهو يسلط في صوت عاوي:

«هل أعتقدت ذلك حقاً! هل اعتقدت أنني أفعل ذلك حقاً».

فشعرت ساشا بالأسف لأنها أغضبت بكلامها وبدأ لها كأنه يوشك على الانفجار فابتلعت لعابها وهي تقول جاعدة:

«لا... ربما كان ذلك... للحظة فقط... لا... لم أعتقد ذلك في الحقيقة، إنني أسفة».

«يجب أن تكوني كذلك».

كان مارك مازال غاضباً ولم تكن ساشا تتري لماذا أغضبت كليتها إلى هذه الدرجة والنزاع القسوت وهو يقتصد ساقيها ولم تحاول هي من ناعيتها أن تقول شيئاً. وأخذ قلبها يطق في عنف وهي تنظر إليه وتعجب من التغيير الذي طرأ على شخصيته، فانه يبدو لها الآن شخصاً مختلفاً عن الشخص الذي كان معها عند زيارتها للعيمة ماري.

وبعد أن انتهى من تضسيد جراحها وقفت ساشا قائلة:

«شكراً لك... سأقرب الآن لأبذل ثيابي».

ولم يفت إلى إليها مارك أو يرد عليها بل اتجه إلى حوض المطبخ ليفسل به
فترددت سائلا لحظة ثم خرجت واليهت إلى الغرفة في انطباع العنوي حيث
ظهرت ثيابها.

وبعدما غسلت ثوبها الملطخ بالدماء نزلت إلى البهو وكانت ترتدي ثوباً رفيعاً
أزرق اللون. ووقفت تفكر وهي لا تتري ماذا تفعل لأنها لم تكن ترغب في
الدخول إلى المطبخ مادام مارك موجوداً فيه. كانت تشعر بالمرع واللعش
لكن كبريائها تمنعها من الدخول إلى المطبخ لتطلب الطعام أو الشراب من
مارك.

ولما لم تجد شيئاً لتفعله أخذت تنظر حولها فلاحظت انساخ البهو وكانت تعرف
أين تجد المكسرة والحاروف فالتفت إلى الحوائط المربعة في البهو وأخذت تنظف
المكان وهي تزج المقاعد من مكانها. واستغرقت سائلا وقتاً طويلاً في صلاحها
وقاربت على الانتهاء منه والجهت ببصرها إلى باب المطبخ فتري مارك يقف
وهو يراها ثم قال:

«انتهيت من اعداد الشاي... ألا تشعرين بالعطش؟»
فترددت سائلا قليلاً ولكن مارك أضاف:

«إنني شعالي إلى المطبخ لتأخذني قديماً من الشاي.»

ولم ينتظر مارك ردها بل اتجه إلى داخل المطبخ فأستندت سائلا المكسرة
إلى الحائط وتبعته. ثم جلست في داعة إلى المائدة وهي لا تفري على الكلام. ولزم
مارك الصمت وأخيراً لم تتمكن سائلا من تحمل هذا الموقف المترس
فالتحرت قائلة:

«كنت أحاول فقط تنظيف المكان... كلن متسحاً للغاية.»

أشعل مارك سيكارة ثم وضع الولاعة فوق المائدة وهو يقول:

«هكذا...»

نظرت إليه وهي تقول:

«كنت أريد أن أقول لك...»

«لأن... غلت عاتريدين...»

قال مارك ذلك في برود ثم اتجه إلى المائدة وولف بجوارها وهو يدبر ظهره
سائلا وأمسك في إحدى يديه بلمح الشاي وبالأخرى سيكارة وبدأ لها في
يشبه هذه وقد انتصب ظهره ورفع رأسه غالياً كالجندي.

وأتركت سائلا وهي تنظر إليه أنها لم تتمكن أبداً من معرفة هذا
الرجل... ولكن لماذا تريد أن تعرفه.

كان الجو حاراً ومشبعاً بالرطوبة وشعرت سائلا بأنها فقدت شهيتها للطعام
لأنها كانت تقطع من الخبز وبعض الجبن. ولم يد على مارك أي اهتمام بذلك وهو
يجلس في حواجيتها على المائدة يتناول وجبة دسمة من اللحم المقفوط والبيض
والجبن.

وأخذت سائلا تفكر في موقفها وهي تتسائل عن الرجلين الآخرين وماذا
يقعلان الآن وتذكرت أنها سمعت بعض الأصوات بينما كانت تقوم بفصل ثوبها
في الحمام. وتصورت في ذلك الوقت أن هناك أكثر من شخصين.

ونظرت إلى مارك فبدأ كأنه يشعر برطوبة المائدة. ونزع قميصه...
وبعد أن انتهى من تناول طعامه ولعت سائلا الأظفار وتوجهت بها إلى
الحسنة لتسليها إذ كانت تريد عمل أي شيء.

ولبت سائلا في هذه اللحظة النزول إلى البحر والسباحة ووجدت نفسها
رياً عنها تبسم وهي تفكر فيما سيجعل مارك لو أنها طليت منه ذلك. إنها لم
تسبح في البحر منذ عام وكم تنسى ذلك الآن.

ووجدت ساشا نفسها تتدفع قائلة:
«أريد أن أذهب للسباحة...»
«حقاً تريدين ذلك؟»

قالت لها مارك وهو يجلس في استرخاء وقد استند بظهره إلى اللبنة ورجع
يقعده إلى الخلف وهو ينثف دخان سيجارته.

ونظرت ساشا إليه وهي تعجب من نفسها كيف بدا لها شخصاً مهذباً وهو
يجلس مع العمة ماري. يتبادلان الحديث وألقاها شعور بالاسترخاء وهي تفكر
أنها استمتعت فعلاً بوجودها بين ذراعي مارك بعد سقوطها على السر المحجى
والضطرب وهي تسترجع مجلس يده وهو يربط في حنان على شعرها وعنقها.
ثم قالت في صوت بدا فيه التقصيم:

«نعم... أريد أن أذهب للسباحة... فإن الجو حار جداً ولا أجد شيئاً أفعله سوى
ذلك... ولا أعتقد أنك ستسمح لي بالتغيب إلى مكان لا تقضي صهرتي في أي
مكان.»

«كم أنت ذكية حقاً...»

ونظرت ساشا إلى مارك - الذي كان يجلس في عتوه تام وقتت في هذا
اللحظة لو أمكنها أن تدفع المقعدين تحتها ليقع على الأرض...
كان مارك مازال غاضباً ولم تكن ساشا تدري السبب في ذلك. ولم تكن

تجرب على سؤاله.

ثم التفت مارك إليها فجأة وهو يقول:

«هل تعتقدين أنك تستحقين ذلك؟»

فردت ساشا في صوت:

«لا... ولكنني أعرف أنه لولا وجودك هنا وإنقاذك عظمي لأمكنني أن أذهب

السباحة في أي وقت يدعون أن أطلب الآن بذلك.»

فقال مارك وهو يصرّ على أستانه وينظر إلى ساعة يده:

«حسنًا... فلتذهب للسباحة.»

لم تصدق ساشا أذنيها، لكنها لم تقل شيئاً بل أخذت تنظر إليه في صمت
وهو ينزل قدمه عن اللبنة ويعتدل واقفاً وهو يقول:

«سأحضر الدراجة أم هل تفضلين المشي؟»

وكان شاطئ البحر يبعد أكثر من ميل عن المنزل وترددت ساشا وهي
تفكر هل من الأفضل لها أن تركب وراءه على الدراجة وتحيطه بذراعيها أم تمشي
سعد إلى الشاطئ. وهو على هذه الحالة من القصص التام وأخيراً قالت:

«عنا نقش... أرجوك.»

«كما تشائين.»

ثم أضاف مارك وقد وجدها مازالت في مكانها لم تتحرك:

«هل تسبحين وأنت غريبة؟»

فوجدت ساشا بهذا السؤال وشعرت بالدماء تتدفق إلى وجهها وهي ترد بالنفي
فقال مارك:

«إن لملا... لا تخجلين لاحضار ثوب الاستحمام.»

فالتفت ساشا خارج المطبخ وهي تشعر بالهيجل... وتبعها مارك بعد
خطف ثم سمعته يدخل إلى الغرفة الأخرى ويقول شيئاً للرجال الموجودين فيها.

وفتحت ساشا حليتها بسرعة وأخرجت ثوب الاستحمام الأبيض ومشلتها
ثم أغلقت باب الغرفة بالفتح وبذلك ملابسها ثم رتبت بسرعة بعد ذلك إلى
البحر.

ووجدت ساشا مارك في انتظارها عند الباب الأمامي وقد ارتست على

وجهه أحداث عديم الاهتمام... شعرت ساشا بالهزن لذلك لأنه رغم أي شيء كان من الممكن أن تكون صحبتها لطيفة.

وبينما هما في الطريق سألتها:

«ألم تسبح معي؟»

لمد ياتقصاب بالنفس فسألتها من جديد:

«ولماذا لا تسبح؟»

«لا تترك لوليد ذلك.»

لذلك ساشا وقد ضايلها موقفة:

«و... وهل تستمر على صمتك هذا طوال الطريق؟»

«أعتقد أن هذا أفضل... لأننا نتشاجر كل مرة نتحدث فيها معاً.»

ثم هز كتفيه وهو يسرع الخطى لينزل السلم الحجري مما اضطر ساشا إلى الإسراع اللحاق به... ثم أضافه:

«ولذلك، أؤثر التزام الصمت حتى لا تشاجر من جديد، وأعتقد أن ذلك سيحسب سعياً.»

كانت ساشا تشعر بتعاسة حقيقية في هذه اللحظة وكانت تريد لو تقول ذلك ولكنها قالت في سخرية باردة:

«صناً... إنني أشكرك لأنك أقررتي بذلك.»

ولم يرد مارك وصار في صمت وهي تفكر في هذا الوضع الشاذ والوحيد الغريب بينما تسير في أجمل بقعة في الريف الفرنسي إلى جانب مارك. وأدرك

تفكيره فجأة يكون الوضع الآن لم يبق تسير في هذا المكان متجهة إلى أحد الشواطئ الملائمة مع الرجل المناسب. ولكن من هو الرجل المناسب؟ هل هو

نيجل الرجل الذي جاءت إلى فرنسا في محاولة لتبانه، من المؤكد إنها لا توجد

في هذه اللحظة بالبقا، أسيرة في أيدي الرجال الروس الثلاثة إذا كان ذلك مساعداً على نسيان نيجل... ووجدت ساشا نفسها تفكر في نيجل... في ماذا يفعل الآن؟ إنه يعرف أنها تقضي عطلة في هذا المنزل ولأنه يعتقد أن أنها تقضي أياماً سعيدة مع أصدقائها وتقضي أمسياتها في الحفلات. إنه يعرف للأسف أنها أسيرة يقوم بحراستها ليلاً ونهاراً ذلك الدب الروسي الذي ينشئ إلى جانبها.

تفكرت ساشا إلى مارك بطرف عتمة، إنها لم تقابل في حياتها من قبل مثلاً مثل هذه الخضرة والقوة، ولكنها كانت ربما لا يعرف السياحة ولكنها كانت تتعجب كيف كانت تلك منها وهي لا تتأكد تصديق أن مثل هذا الرجل الحائز على هزم النقص في التكرار لا يعرف السياحة، إذن لماذا يرفض في مثل هذا المكان غير وقد اكتمل القمر منيراً للمكان عاكساً ضوءه على البحر الذي بدا كجسار فضي... لكنها لن تسأله بل لن تجرؤ على ذلك ولو أنها تريد أن تعرف السبب.

كان الشاطئ صغيراً في تلك المنطقة محاطاً بالصخور للدرجة أنه من الصعب على أي شخص لا يعرف المنطقة أن يجده، ووصلنا إلى الشاطئ أخيراً بعد أن حل الطريق الرزني. وكان مارك يسلك بضعها وهي يعبران الطريق لكنه لم يجرؤ الوصول إلى المرحلة الأخيرة.

«محباً قال مارك وهو يشير إلى إحدى الصخور المنبسطة:

«سأجلس هنا في انتظارك... يمكنك أن تذهب للاستحمام... ولكن لا تقبض على شيء، هل تفهمين؟»

«نعم ذلك جيداً في أي حال إن طريقك في توضيح كلامك لجملي أناستاسيا...»

«نعم، ولكن كنت تتحدث بلغة أخرى.»

«نعم، مارك عليها بل أسند ظهره إلى إحدى الصخور وبدأ يهبط في

جنيه عن علة سكاره.

وخلعت ساشا ثيابها وهي تركض إلى البحر وبدأت رشيلة وجميلة في ثوب استحمامهما الأبيض الذي بدا لامعاً في ضوء القمر. ولم تنظر ساشا إلى الخلد لثرى مارك. وقد أخذ ينظرها الجذاب قراح ينظر إليها بدون أن يتمكن من ربح عينيه عنها.

وتركت ساشا إلى البحر وشعرت بالانتعاش وماء البحر يغطي قدميها ثم ساقها ثم يصل إلى خصرها. ثم أخذت نفساً عميقاً وهي تفتق بنفسها في الماء استلقت على ظهرها وهي تنظر إلى السماء التي امتلأت بالبحر. أخذت ساشا تسبح ببطء ثم توقفت وهي تنظر إلى تحت كان يرسو على بعد حوالي نصف ميل وكان الظلام يتبعث منه وصوت الموسيقى يصل إليها بوضوح فشعرت بالحزن إذ كانت وحيدة بينما كان الجميع يشبهون بأولادهم يشرسون ويرجون.

ونظرت ساشا إلى الخلف لثرى إذا كان مارك قد رأى اليخت. ولكنها لم تتمكن من رؤيته لأنه كان مختبئاً خلف إحدى الصخور وطرات على ذهنها و هذه اللحظة فكرة. ولكن هل يمكنها أن تسبح إلى مكان اليخت ووقفت في مكانها تفكر فلا يمكن تقدير المسافة تماماً بينها وبين اليخت. وربما كانت أكثر من نصف ميل وهي لا يمكنها السباحة لأكثر من هذه المسافة. ونظرت ساشا إلى اليخت من جديد وكان الاغراء قديماً فأخذت نفساً عميقاً وبدأت تسبح في اتجاه اليخت الذي بدا لها لرفاً الرحيد وسط العاصفة التي قر بها.

وصنعت صوتاً ضعيفاً بناديا من الشاطئ. فنظرت إلى الخلف فترأت مارك بأمرها بالعودة فأشارت إليه بدماعها كأنها تنوي ذلك بالفعل ولكنها غطت فمها الماء. وأخذت تسبح إلى أن أصبحت أن رقتها مستفجرة.

لكنها كانت قد بعدت عنه مسافة كبيرة ولم تعد تهتم به الآن. فإن مارك لا يعرف السباحة.

وجاء صوت الموسيقى غالباً هذه المرة وبدأت تسبح بالشعب لكن صوت موسيقى وشعورها بأنها أوشكت على الوصول أدها بالقوة فجاءت تسبح من سيد. ثم فكرت في مارك. وماذا يفعل الآن والتفتت لكنها لم تتمكن من رؤية.

وشعرت ساشا بوخزة في عنقها لتوقفت عن السباحة قليلاً لتفريح... ولجأة علمت أن شيئاً يشعرك في البحر متجها إليها من ناحية الشاطئ. ثم تبيت رأس شخص يسبح أفركت على الفور أنه مارك!

٥ - يجذب الطيور...

أصرعت ساشا في السباحة وقد قلّكتها الفزع نحو البخت وأخذت تطرب الماء بفراغها بكل قوتها وشعرت قلبها يتوقف عن الحركة. ولكن البخت بدأ قريباً جداً منها الآن حتى أنها استطاعت رؤية شاب وفاتة يتعانقان فوق سطحه... واستمرت في السباحة... ثم فجأة شعرت بشيء يقبض على ذراعها ورطم فزعها ثم تشبكن من الصراع (كانت مرهقة للغاية...) ثم سمعت صوت مارك جيس في أذنها ووضع يده حول عنقها:

«إذا جسدك أي صوت سأخبرك حتى أفقدك وعيك... هل تسمعين؟» وأدركت ساشا في هذه اللحظة أن مارك يعني قاعاً ما يقول وفجأة وجدت نفسها تهوى تحت الماء وهي تحاول جاهدة البقاء فوق السطح فانشطها مارك بقوة وهو يقول:

«استلقي على ظهرك».

قالت ساشا وهي تحاول بدوي جدي دفعه بعيداً عنها:

«لا... أريد التوجه إلى هناك...»

«كفكف ملارمه... استلقي على ظهرك وأسحبك إلى السطح».

كانت ساشا تعرف بالفعل أنه لا جدوى من المقاومة... بل كانت تعرف ذلك طوال الوقت، لكن الرغبة في الحرب كانت أقوى من أي شيء، وهاهي الآن تحاول

وتفشل من جديد... وهذه المرة لم تعد لديها القوة لمقاومته أو حتى لجأه لئلا، فاستلقت على ظهرها وشعرت بيديه تحت ظهرها. واستلقت بدون حراك بينا أخذ مارك يطرب الماء بقدميه عاتداً بها إلى السطح.

ثم شعرت بقوتها تعود إليها بعدما استردت أنفاسها فحاولت التخلص منه والسباحة بفردها وكان البخت قد أصبح بعيداً عنها الآن فقاتت وهي تدلع يديه عنها.

«عني أسحب يقوي... أبعد عني».

وتركها مارك وأخذت يسبح بجانبها... كانت ساشا تشعر بألم شديد... وكانت قدماها وذراعها ترتلها بشدة وهي تحاول السباحة إلى السطح... ولكنها حاولت إخفاء ذلك عن مارك وظللاً يسبحان حتى اقتربا من السطح... وشعرت ساشا بالآلام الصلبة تحت قدميها فرفلت وهي تتنوح ثم سفلت كتفها من جديد ثم جرت نفسها جزأ لتسقط فوق رمال السطح... وتستلقي على ظهرها في تلك نام.

ونجاة شعرت بمارك يسك بها بقوة وشعرت أنها تكاد تخنق فتصاحت تقول:

«عني...»

لكنها لم تستطيع أن تنفخه بأكثر من ذلك ورفقت لا حول لها ولا قوة. وشكرت في هذه اللحظة ما حدث في غرفة النوم فارتجفت وحاولت دفعه بعيداً عنها وهي تقول:

«لا... يا مارك... كفني...»

ولكنه بدلاً من أن يتوقفه أمسك بشعرها في يده ليضعها من الحركة. ورفأ عنها وبالرغم من كل شيء شعرت ساشا بالواقعة في جسمها ووجدت نفسها

تستجيب لمعلمته الجامعة وتغيب معه في عناق طويل قطع مارك ليلتها
أنفاسه. وأقامت سائلا نفسها ولتحت عينيها وتفتت بعض، كانت تشعر
بالعباءة خفيف لكنها رفعت يدها إلى وجهها لتغطي لها عندما حاول من جديد
وقالت:

«أرجوك... يا مارك دعني فاك تزلني».

تركها مارك ووقف وهو يجذبها لتقف أمامه وأخذ صدره جيت ويعلم وهو
يحاول الحفاظ أنفاسه وجاء صوته خشناً وقوياً وهو يقول:
«أود أن أضربك...»

فصالت سائلا في صوت مرتعش وهي تطلق يدها من يده:
«ولكنك لم تكن تفعل ذلك الآن...»

«لا...»

ثم مر بأصابعه خلال شعره المبلل وهو يشفي.

«أوهي... والهي الآن...»

«ولكنني ما زلت مبتلة...»

فجذبها مارك بعنف ودفع بها إلى المكان حيث تركت ملابسها والتقط
الثقل ووضعها قولها وهو يقول:

«لا تقولي شيئاً، ولا تحاولي أن تجادليني الآن... ينبغي نفسك فقط لقد فعلت ما
فيه الكفاية الليلة، صديقتي، إنك مستعدين إذا حاولت إيلامي الآن».

ونظرت سائلا إليه. كان يقف في مواجهتها كائزاد في قبة ثورته وكان يسير
للأرد أن يفعل أي شيء. وقد بدا لها في هذه اللحظة وقد غلغل عن كل مظاهر اللبس
وبدا رجلاً بدأتياً تحركه غرائز.

وشعرت سائلا بالعرف وبدا مارك للآء وهو يقبل ويزوج كأنه غل
وشك أن يفعل أي شيء.

وبدأت سائلا تستعيد أنفاسها وهي تجفف شعرها ثم أُنجنت تجفف سائليها
وقدميها وكادت تسقط وهي تفعل ذلك. ثم وضعت المباشرة وأنجنت تلتقط
بتطلتها وليسته فوق رداء استحمامها المبلل. وكانت البرودة قد بدأت تحري في
الجوف فلاحظ مارك أنها تعطس وترتجش فالتفت إليها قائلاً:

«اغلعي رداء الاستحمام المبلل، فالطريق أمامنا طويل».

«ولكن... ليس أتناه وقوفك معي هناك».

«صانير وجهي... اغلعي كما أقول».

فالتجهت سائلا إلى بعض الصخور واختبأت وراءها وخلعت رداء
الاستحمام بسرعة ثم ليست ثيابها وخرجت من وراء الصخور وهي تقول:

«إني غل استعداد».

وكان مارك يقف وظهروا إليها ينظر إلى البحر ثم التفت إليها قائلاً:

«إني هيا بنا تعود».

وسأله سائلا:

«أين تجفف نفسك».

لم تكن سائلا تهتم حقاً بذلك فكل ما كانت تشعر به في هذه اللحظة هو
الآسف لغسلها في الوصول إلى البيت والفرح لما حدث بينها وبين مارك غل
التعاطف... فعل مارك ما فعل كعقاب لها غل محاولتها الهرب إني تعرف ذلك
ولم يكن عناق العنيف لها إلا محاولة للتنبؤ عن الغضب والعنف والريبة في
إبذاتها... أما بالنسبة إليها فإنها لا يمكنها أبداً أن تتعامل الحقيقية وهي أن عناق
مارك أصبح بداخلها مشاعر كانت تعتقد أنها انتهت إلى الأبد بعدما تركت
بيجمل. لقد أصبح مارك بداخلها من جديد شعورها بأنها أنسى.

وقال مارك:

ولا، سأقوم بتجفيف نفسي بينما غشي في الطريق، تعالي الآن.

وأخذ مارك ملابسه عن رمال الشاطئ. ووضع السكين والمفاتيح في جيب بنطلونه الذي لم يكن قد خلعته ثم وضع ساعتَه في محفظه.

وولفت سانشا تنظر إليه وهي تعجب لأنه في لحظة للحاق بها في البحر لم ينس أن يترك أشياءه القيمة على الشاطئ. وسخرت من نفسها في هذه اللحظة لأنها كانت تعتقد أنه لا يعرف السباحة.

ألبست سانشا بانشقة إلى مارك وسبقته بعدما حملت رداء الاستحمام للشلل قرق ذراعها ونسقلت البصخور لتصعد إلى الطريق العام وهي تنضي في هذه اللحظة لمرأتها وأفلت مارك على ركوب الدراجة البخارية. كانت تشعر بالدفء بعدما خلعت رداء الاستحمام البittel ولكنها كانت تحبب للشمس كما تبلى ألبسها من قوة لتتمكن من السير والعودة إلى المنزل.

وعندما وصلا إلى الطريق العام، توقفت سانشا وهي تنظر إلى الطريق ولقد ازدحم بالسيارات الممرعة في الاتجاهين، كانت تشعر بالهياج شديد وشعرت برعب مفاجئ، لأنها قد لا تتمكن وهي في هذه الحالة من عبور الطريق.

وأصك مارك بيدها يجذبها وأمر بالول:

«الآن... تعالي بسرعة».

ثم ترفقا في منتصف الطريق وانظروا مرور بعض السيارات من الاتجاه المعاكس وغيرا إلى الناحية الأخرى. وبعد أن وصلا بسلام ترك مارك يدها وصار إلى جوارها في حست.

وأخذت سانشا تفكر... لقد كان مارك غائبا قبل مغادرتها المنزل، ولكنها لا تخزي، مؤلفه الآن. ربما يكون ازداد غصبا وشعرت سانشا بالأسى وهي تدرك في نفسها وكيف تكون نهاية هذا الكائن الذي تعيشه الآن ويعد

لها الحرية أبعد عنها في أي وقت آخر.

كانت السباحة إلى الخبث آخر محاولات الحرب فقد استنفدت كل قوتها، ولم تعد تستطيع السير بسرعة وكان مارك يتوقف بين لحظة وأخرى لينظر إلى الخلف وينظرها لتدقق به، وكانت سانشا تعرف أنه يعتقد أنها تفعل ذلك متعمدة، لكنها لم تسرع الخطى بل كانت تشعر بقدميها لتدققين ولم يكن أمامها إلا أن تخرجها جراً حتى تصل إلى المنزل الذي بدا لها بعيداً جداً في ذلك الوقت.

وسارا جنباً إلى جنب في الطريق بصمت تام. وكان السكون يلف المكان باستثناء صوت زمامير بعض السيارات بين أن وآخر، أو صوت أرنسب يقفز ليختبئ بين الحشائش على جانب الطريق. وأخيراً وصلا إلى المنزل.

وعندما دخلوا وأطلق مارك الباب نأوى أحد الرجلين من الطابق العلوي فالتفت مارك إلى سانشا وأسطاعا المشقة التي كان يحسها فالتألا:

«انتظري هنا»

ثم هرع مسرعاً إلى الطابق العلوي.

وروقت سانشا تنصت في سكون تام فسمعت أصوات حديث، ثم أطلق باب غرفة في الطابق العلوي ففتحت صوت الحديث، حتى أنها لم تعد تسمع شيئاً وبدا لها غريباً أن مارك يتحدث الانكليزية رغم أن الرجلين اللذين وأنها من قبل في المنزل لا يعرفان الانكليزية على الإطلاق.

ولم تنتظر سانشا في البهو كما طلب منها مارك بل كانت تشعر بأهراق شديد فالتفتت بسرعة إلى المطبخ حيث وضعت الحليب على الموقد لتدقته ثم وضعت فيه بيضه وبعدها قلبته جيداً شربته دافئة واحدة، وكانت تشعر بالأسى شديدة في معدتها وتعتقد أن ذلك ربما يكون بسبب الجوع الشديد الذي تشعر به لكنها مع ذلك لم يكن يقدرورها في هذه اللحظة تناول أي طعام جاف.

جلست ساشا بعد ذلك إلى المائدة تنتظر وصول مارك ولكن مضت
بضع دقائق ولم يزل مارك من الطابق العلوي فالتجيت إلى حجرتها وقذفت
بنفسها فوق السرير... لم يكن معها في هذه اللحظة ماذا سيفعل مارك عندما
يكشف أنها لم تنفذ أوامره وتنتظره كما طلب منها. لم تكن تفكر في شيء على
الاطلاق في هذا الوقت سوى أن تتألق بسقطاً من الثوب.

وعندما استيقظت ساشا أخذت تنظر حولها وهي لا تكاد تعرف أين هي...
وكانت ما تزال تنتحب إذ رأت في منامها حلماً مرعباً: رأت نفسها شمالة في أرض
لحربية فيها مخلوقات غريبة الشكل تختفي بمجرد النظر إليها...

وجلست ساشا في السرير وهي تضع يدها على جبهتها وأخذت صدرها يعلو
ويجهد بسرعة وهي لمجاهد لاستعادة هدوئها.

ثم تذكرت فجأة أين هي ووجدت أن الخليفة أسوأ من الحلم الذي رآته،
فالتفت إلى السرير الآخر المجاور ورأت مارك يستلقي ورائها.

وضعت ساشا يدها على لها لتسمع صرخة خزع من الانطلاق فتتحرك
مارك من مكانه وهو يسأل:

«ماذا حدث؟»

«لا شيء...»

ثم أضافت وقد رأتته يجلس على السرير:

«لا... أريدك... اتركني.»

وتوقف مارك في مكانه فجأة وهو يعلو:

«لم أكن أنوي أن أفسد... كنت أود النزول إلى المطبخ لأحضر لك بعض
الشراب. فأنت في حاجة إلى بعض منه. إنك تصيحين منذ فترة.»

«سأزول أنا... أريدك دعني أنزل بنفسي.»

«حسنًا... يوجد زجاجة في الخزانة. ستفقدك كثيراً في استعادة هدوئك.»
ونزلت ساشا إلى البهو حافية القدمين. وأضادت النور. كانت الساعة
الرابعة وما زال الظلام منتشراً... وبينما كانت تعبر غرفة الجلوس في طريقها إلى
المطبخ سمعت صوتاً لتجمدت في مكانها وهي تنظر إلى الباب الأمامي الذي
لاحظت أنه ينتح ببطء شديد.

وضرخت ساشا وهي تنادي مارك وهرعت إلى السلالم تصعدا بسرعة...
ولم تكذب تصعد بضعة سلالم حتى رأت مارك ينزل مهولاً إليها وأمسك بها
وقبعا خلقه ثم... رأت رجلاً طويل اللقامة يدخل إلى المنزل ويخول في فجوة
أمركية:

«ما هذا... لماذا كل هذه الأسلاك... هل أفقدتوني أم حدث شيء خطير؟»

وسمعت ساشا مارك يسيه بالروسية... حقاً لم تكن تعرف الروسية
ولكنها كانت تعرف ألفاظ التشتات عندما تسمعها.

ونظر إليها الشاب الأمر بكى ورفع حاجبيه في دهشة وهو يسأل:

«هل حدث شيء؟ هل أخطأت في شيء؟ خرجت من المنزل لتفقد الأسلاك
الخارج.»

فقال مارك:

«أفزعنت ساشا حتى الموت... هذا كل ما في الأمر.»

وشعرت ساشا بأن حاقبها لا تقربان على حملها فجلست في مكانها على
السلم وأدركت في هذه اللحظة السر في أن مارك كان يتحدث الانكليزية
بعدما عاد إلى المنزل ولكن أسئلة ازدادت لغوضاً بالنسبة إليها وكثرت الأسئلة
التي لا تجد لها جواباً حتى الآن.

وقال الشاب الأمر بكى.

«أنا أسف يا عزيزتي... حقاً أنا أسف... ألن قد عدتني إليها يا مارك»

فألتفت مارك إلى ساشا وهو يقدم الشاب قائلاً:

«ساشا هذا واين أومالي من أميركا».

ثم التفت إلى الشاب قائلاً:

«وهذه الأنسة ساشا دوتيللي».

فتقدم واين منها ومد يده مصافحةً.

كان واين يبدو وقد قارب الثلاثين من عمره، ظميراً مثل مارك قريباً ورشيقةً ولطيفاً بشعره البني اللامع المتعرج والابتسامة التي تشرقص داخل عينيه.

وقال واين:

«أسف حقاً يا عزيزتي لأننا تقابلنا على هذه الصورة... وأجندني مضطراً لأشرح لك الأمر، ولكن لا يمكن أن أفعل ذلك في الساعة الرابعة صباحاً».

فقاطعه مارك قائلاً:

«لا أعتقد أن الوقت مناسب لذلك الآن يا واين، ساشا متعبية، كلنا متعبون... أليس كذلك؟»

وأخيراً نظقت ساشا لتقول:

«انتظر لحظة».

فتوقف الرجلان عن الحديث وهما ينظران إليها وأصاقت:

«نعم... أعتقد الآن هو الوقت المناسب، إذا كننا نعتقدان أنني سأعود بسلام للثوم».

ثم تولفت فنظر إليها مارك بقلق وكان يقف أمامها جاني القدمين وقال:

«إنك في حاجة إلى كأس، تماي، اجلسي فوق هذا المقعد، ولا تجلسي على السلالم».

الباردة حتى لا تصابي بالبرد».

ومد مارك يده ليمسك بذراعها لكنها سارعت بالوقوف وتزلت السلام في يده. كان شعرها مشعثاً لأنها لم تقشطه بعد عودتها من الشاطئ. وكان وجهها شاحباً للقاءه بسبب الاجتهاد الذي تعرضت له. وقد امتلأت عينها بنظرات الحزن كشيء شبيه، وهي تتحرك ببطء متوجهة إلى المقعد المريح للجلوس، ولكن على الرغم من ذلك كانت تبدو أنثى رقيقة هائلة وبدا ذلك واضحاً في نظرات الرجلين اللذين وقفوا يحدقان فيها.

وبعد أن جلست ساشا فوق المقعد توجه مارك إلى المطبخ ثم عاد يحمل ثلاثة أقذاح وزجاجة وضعها فوق المائدة. وسكب بعض الشراب في كأس قدمها إلى ساشا التي كانت تجلس في هدوء تام وهي تضع يدها فوق ركبتيها ولا تبدو إذا كان يمكنها تناول الشراب أم لا وقالت بيثا مارك يندم لها الكأس:

«لا أريد كل هذا الفدر».

«لن يضر».

«لما نظرت إليه أصاب».

«أرجوك يا ساشا».

ونظرت ساشا في عينيه. لم يكن غاضباً الآن، بل خلت نظرة الغضب من عينيه وبدا لطيفاً. وشعرت ساشا بليلها ينتفض وهي تنظر إليه وقد بدا شعره الداكن مشعثاً وبدأت لحيته في الظهور فظهر وجهه داكناً.

ورفع واين كأسه قائلاً:

«في صحتك يا ساشا ثم استبدك غائلاً. هل يمكنني أن أناديك باسمك مجرداً، إنني أشعر وكأنني أعرفك، أريد أن أخبرك بشيء.. لن أطلب عليك المألوف غير مناسب ومن الممكن الانتظار حتى الصباح، جواز سرك معي وسأعيد إليك».

أسف لأخذ هذه الطريقة ولكننا كنا نريد فقط التأكد من شخصيتك.

ونظرت إليه سائلاً: بدون أن تقول شيئاً وكان الأمر كله يبدو غامضاً لها أنه أضاف: واين:

«كل ما يحدث سببه ذلك الرجل العجوز الموجود هنا في المنزل».

ثم التفت إلى مارك: سيأخذ:

«وما اسمك... سرج».

فهرز مارك رأسه بالإيجاب فاستطرد: واين:

«حسنًا، إن اسمه الحقيقي ليس سرج إنه يدعى ايفيسور مايفسكي
البروقسور مايفسكي. وقد هرب منذ عشرة أيام».

ولم تكد سائلاً في هذه اللحظة أين رأته وجه الرجل العجوز الذي بدأ يبتعد
منذ وأنه أول مرة في المر الحجرة... وأنه من قبل في الصف منذ أسبوعين
تشرت الصف صورته تتحدث عن اختفاء عالم سوفيتي كبير خلال حفرة
أحد الموقرات في برلين الشرقية.

وأضاف: واين:

«ولد ثول مارك و جانوس حراسه منذ ذلك الوقت وجدت في أحد الآباء
ذهب جانوس للاعتقال وكان الرجل العجوز يهرب سكراراً تلحق بمارك
الذي تصادف وقوفه معك في ذلك الوقت فراك ورأته أنت بعض الصف
أيضاً».

وأخذت سائلاً رشفة من كأسها وشعرت بأن كل شيء من حولها في الخمر
يبور فوضعت الكأس على المائدة بسرعة وهي تشعر أنها غلى وشك الانهيار
وخيل إليها أن صوت واين يأتي من بعد سحيق.

ثم سمعت بعد ذلك صوتاً يقول إنها غلى وشك الانهيار... ولم تشعر بشيء بعد

عند.

وعندما أقالت سائلاً وجدت نفسها فوق السرير وشعرت بشيء بارد فوق
رأسها فلبعت بعدها لترجمه لمرأت مارك وقد جلس إلى جوارها على السرير
حتى فوقها وهو يحسك لمطعة من القماش مبللة بالماء المثلج. يضعها فوق
مخبطها فأتاحت برأسها بعيداً عنه وهي تترجم أن يبعد عنها ويتركها يفردها
إشالات عينها بالدعوى وسعت مارك يقول لها في صوت هادئ:

سائلاً... هل أنت متيقظة؟

ولما لم ترد عليه أمسك برأسها برفق لتتظفر إليه وقال:

«أعني عليك... وأنت الآن في مريك هل تريدين شيئاً؟»

لهزت رأسها بالنفي فولف وهو يقول:

سأذهب الآن... وأرجو أن تتكلمي من النوم».

وطرح مارك وتركها وظلت مكانها تزدق في هدوء تام في السرير.

كانت تشعر بلهوا شديداً حتى أنها لم تقو على التفكير... ولكنها كانت تدرك
شيئاً هاماً وهو أن مارك والرجال الآخرون الذين معه ليسوا مجرمين كما كانت
تعتقد من قبل، مما جعلها تشعر بالراحة.

في الصباح جلست سائلاً مع الرجال الأربعة في المطبخ يتناولون طعام
الانظر. وهذا لما جانوس الرجل الأصغر طيقاً وليس كما تصورت من قبل.
كان مارك و واين يلومان بأعداد البيض واللحم المحفوظ وعلى الغراب
الطازج بينما جلست سائلاً كسلطة متوجة إلى المائدة وجلس الأستاذ العجوز
إلى جوارها وأخذ مارك يترجم لها كل شيء. يقوله الأستاذ بالروسية.

كان البحر عتيقاً تماماً هذه المرة فلم يعد هناك أي توتر يجثم على المكان وبدلاً
من ذلك كان الجو يسود جو المطبخ وأصوات الضحك كانت تتردد فيه.

كان مارك طامعاً ممتازاً كما اتضح لما منذ البداية والطعام لذيذاً فأكلت
سانا شهية وكانت تشعر بالجوع بعد كل ما تعرضت له من المنغصات
تنسية.

وكانت سانا تبدو جميلة بشعرها المتسدل فوق ظهرها ترتدي بظلمة تنسج
أبيض وصدرية خفيفة من القطن الأزرق أظهرت لون عينيها الجميل. وكانت
تتبع بالاضطراب كلما التفت نظراتها بنظرات مارك فتتورد وجنتاهما وحده
مارك عادتها قماً وقد زال غشيه قداما شخصاً مختلفاً تماماً عن ذي قبل.
وبعد الانتهاء من الاقطار قال واين:

«هل طرحيت للمني معنى قليلاً يا سانا؟ فهناك الكثير أود أن أوضعه لك
وأعتقد، كما يعتقد مارك أنك لن تصدقيه.»

وتنظر واين إلى مارك وهو يغمز له بظرف عينه وبدأ كأن مارك يريد
أن يقول شيئاً لكنه عدل عن ذلك واكتفى بالابتسام.

فردت سانا بالاجواب وقالت:

«بالطبع يمكنني ذلك... ولكن يجب أن أذهب إلى مرحفتي أولاً لأرتب الثمر، إن
يستغرق مني ذلك وقتاً طويلاً.»

وصعدت سانا إلى الغرفة بينما كانت تلف إلى جانب سريرها تفكر في كل
ما حدث لها سمعت طرقاً خفيفاً على الباب وسمعت صوت مارك يقول:

«هل يمكنني الدخول يا سانا؟»

فردت سانا بالاجاب ودخل مارك ووقف في مواجهتها بعد أن أغلق
الباب وراءه وقال:

«حضرت لأقول لك أنني أسف لما بدر مني... أمسي... على التماسي.»

واضطربت سانا فقد تذكرت ما حدث بالأمس وأتاحت برمجتها سريراً

وهي تقول:

«أوه... إن... إن الأمر لا يهم.»

فتقدم مارك منها وليس ذراعها يرفق شديد وهو يقول:

«ولكن الأمر مهم... فقد تصرفت بطريقة فظيعة لأنني كنت في ثورة من
التحسب. ولكنني أعرف أن هذا لا يبرر تصرفي.»

فردت سانا في يدها:

«أعرف الآن لماذا كنت تخشى أن أخير أي شخص. ولكن لو أنك أخبرتني بحقيقة
الأمر منذ البداية»

«لم يكن يقتضي ذلك، لم أكن أعرف من أنت حتى بعد أن رأيت جواز سفرك
وعرفت منك بعض المعلومات عن شخصيتك، كان علينا التأكد من كل شيء.
والى أن تأكد لنا صديق كلامك كان علي أن أرافقك بدقة.»

ثم أسلف وهو يشير برأسه ناحية السرير المجاور:

«وهذا كان لا بد أن أبقى معك، حقاً كان الوضع عرجاً بالنسبة اليك أيضاً، ولكن
وقد انتهى كل شيء الآن - يمكنك أن تنامي في أمان الليلة.»

وسأله سانا في صوت ضعيف:

«حتى تغادر المنزل يا مارك.»

فهم كنهيه وهو يجيب:

«لي أسرع وقت ممكن. وبعد ذلك يمكنك أن تستمتعي بأجازتك وتلغني كل ما
تريدين.»

وسكنت سانا للحظة فكيف غلبه شعورها الخفيفي وبأن أجازتها لن
يكون لها معنى الآن إذا أمضتها بمفردها في المنزل.. كانت تشعر بأن شيئاً يقتصر
قلبيها ولكنها حالت:

«حسناً، أرى أنه من الأفضل أن أنتهي من ترتيب سريري. وسأرتب لك سريراً خاصاً بعد هذا الاضطراب الليلي الذي قمت بإعداده».

«شكراً يا ساشا، وعلى فكرة، لقد خلقت دواء استحيامك ومنتجتيك ليجفا فقد تركتهما أمس في المطبخ».

«شكراً، لقد تسببتهما».

كانت ساشا تتعجب بأن جواً من التوتر يجثم على الغرفة، لم يكن يوسمها إحباطه أكثر من ذلك فنظرت إلى مارك وأفكرت أن لديه الشعور نفسه. كان هناك شيء ما لا تفهمي كنهه يجثم على الجسر ويجعلها تشعر بالاضطراب. فأغمضت عينيها وهي ترتع بدنها لتضعها فوق جبهتها فسألت مارك:

«هل تشعرين بتعب؟»

«أنا متعبة قليلاً، ولكنني سأكون على ما يرام بعد أن أنال قسطاً وقيماً من النوم الليلي».

«نعم، وأنا أيضاً».

ثم نظر إليها وهو يبتسم وقال:

«حسناً، أظن أنه من الأفضل أن أغمضي الآن، ربما ذهبت لشراء بعض الأشياء من القرية، هل تحتاجين شيء؟»

ففكرت ساشا، ثم قالت:

«لم أتصل بالوالدي منذ حضورتي... فهل يمكنك أن ترسل برقية إليهم ليطلبون علي».

«بالطبع... أكتب ما تريدون ولا داعي للاستعجال لنأذهب أولاً لأطعمام الدجاج».

قال مارك ذلك ثم تركها وغادر الغرفة.

خرجت ساشا مع واين وصاروا معاً حتى وصلا إلى كوخ السيدة كاسيل حيث توقفوا يشاهدان الدجاج يلتقط الحب الذي ألغاه مارك.

وشرح واين لساشا كل ما يتعلق بمألة الأستاذ مايفسكي وهي تكسبت إليه باهتمام شديد، وقال واين: «وها يستندان إلى جدار الكوخ».

«كانت عطية «هيلة» للغاية... فقد تريت بعض أنباء عن اعتزام الأستاذ مايفسكي الحروب منذ وصوله إلى برلين الشرقية لحضور المؤتمر... وكان علينا أن نتحرك بسرعة لنكون على استعداد، أما كيف تمكن من الحروب من برلين الشرقية... فكل ما أستطيع قوله أنه وصل إلى مارسيليا منذ أسبوع ثم حضر إلى هذا المنزل المنعزل على القورة».

وتوقف واين قليلاً عن الحديث ليشتغل سكاكبة ثم أضاف:

«وقد عين كل من جانوس و مارك لرؤسائه ولكن مارك يلجم أصلاً في فرنسا لأن له جسيبة مزبوجة فهو نصف فرنسي، وأنت تعلمين ذلك بالطبع...»

ولم تكن ساشا تعرف هذه الحقيقة لكنها لم تتأ أن تقاطع واين الذي استقره يقول:

«أما بالنسبة إلى فقد جئت لأشئ سأقول المرحلة المقبلة وهي تحويل الأستاذ مايفسكي إلى أميركا، وإلى هنا تنتهي مهمة مارك أما جانوس فسنبوجه معنا إلى أميركا».

وسألت ساشا:

«ومذا يفعل مارك بعد ذلك؟»

ابتسم واين وهو يقول:

«يسعدني إلى مطعمه، إنه يمتلك مطعماً من أفضل وأشهر المطاعم في مكان ما في وادي التوار، وهو مشهور بقطعاه المعتاز. جاء مارك إلى فرنسا منذ حوال

خس سرات ولذلك أعتقد أنه قرأني الآن أكثر مما هو روي.

وتوقف واين لطيفي بلها السيكرة وأهلب:

«زوجته تقوم بالانصراف على المطعم أثناء غيابه وعلى المرء أن يحجز مائدة قبل التوجه إلى مثل هذا المطعم بطبعة أيام...»

لم تكن ساشا تستمع إلى واين في هذه اللحظة بل فوجت بحدوده من زوجة مارك... طبيعي أن يكون مارك متزوجاً فهو يبدو في الثلاثين من عمره، لكنها شعرت بغصة في حلقها وبدا كأن قلبها يوشك على التوقف عن الحفظان فقالت في ملحة حاولت أن تكون طبيعية:

«لكنني لم أكن أعرف أن مارك متزوج».

«لأنه متزوج وله طفلان أيضاً... لم أعلم عائلته من قبل، لكنني سمعت بذلك...»

وشعرت ساشا بالحزن بآ نفسها، إذن فإن مارك أب أيضاً، وفكرت في نيجل، إنه على الأقل لم يكن أباً... ولكن الوضع مشابه فكلاهما متزوجان.

من حسن حظها أن اكتشفت هذه الحقيقة الآن قبل التزويج مع مارك أكثر من ذلك.

وجاءت ساشا لتبدو طبيعية فسألت واين - وهي ترسم على شفتيها ابتسامة واحدة:

«أريد أن أعرف شيئاً... هل كان هناك من يراقب المنزل أثناء الليل. إذ شعرت بذلك عندما خرجنا أنا ومارك للسفر في الصباح الباكر».

«نعم... كان هناك شخصان يقومان بهذه المهمة وكانا على اتصال لاسلكي بمارك معظم الوقت».

وحاولت ساشا التهاك وتظاهرت بالاستماع إلى واين ولكنها سرحت

بأذكارها قليلاً... كان الألم يقتصر نفسها في هذه اللحظة. بالسخرية القدر... جاءت إلى هذا المكان المنزل لتتسي قصة فيها مع نيجل وتبحث في ذلك بالعمل، والآن تعود إلى بلدها بقصة أخرى وألم جديد.

ثم انتهت ساشا وسألت واين:

«ذلك يعني... أنني لو لم أحضر إلى المنزل في تلك اللحظة... وأرى الأستاذ مايفسكي لما حدث لي أي شيء مما حدث».

«بالطبع لا... كل ما كان سيحدث لو أنك لم تشاهدي مايفسكي هو أننا كنا سنحاول مراقبتك لبعض الوقت كأجراء احتياطي... لكذلك كنت سينة الحظ إذ عرفت من مارك أنك حاولت الحرب عدداً من المرات».

فايتمت ساشا وهي تسأل:

«وماذا قال لك مارك بالضبط».

فضحك واين وهو يقول:

«لا... لن أحاول أن أنقل أي كلام. فأنا أحتاج إلى التعرض لأي شخص مثل مارك وأفضل الاحتفاظ به إلى جاتي».

ولكن ساشا أصرت على معرفة ما قاله مارك فهز واين كتفيه وضحك قبل أن يقول:

«أبلغني من بين ما أبلغني به أنه يرغب بمظهرك اللطيف لأنك عتيقة جداً».

لم تكن ساشا تتدري لماذا تهتم كثيراً بعمره ما قاله مارك عنها ولكنها لم تكن تستطيع أن تمنع نفسها من ذلك فقالت:

«أعتقد أنه يعني بذلك محاربي ضربه بتقصيب الحجاب على رأسه. ولكن كان من حسن حظه أن اتبه إلى ذلك».

نظر إليها واين بإعجاب شديد وهو يقول:

«حقاً... أنت فعلت ذلك يا عزيزتي»

ثم أضاف وهو يظن صغيراً من قبه:

«أعتقد أن ذلك أغضب كثيراً»

لنالت ساشا:

«قال لي في ذلك الوقت... لو أنك رجل لقتلك».

وهو يعني ذلك حقاً، رأته يقطع لوحاً من الخشب إلى نصفين بضربة واحدة بجانب من يده... ألم تشعرني بأي خوف وأنت محاولين ضربه؟»

«نعم، شعرت بالخوف أول الأمر، ولكن كان علي أن أحاول، لأنك من الهرب».

«بالطبع يا عزيزتي... يا لك من فتاة رائعة».

ثم أمسكها وأين يداعبها وهو يقول:

«لنعد الآن إلى المنزل فلا أريد أن يشعر مارك بالغيرة».

«هذا شيء مستبعد لأن هناك حياً مقفولاً بيننا... ذلك إلى جانب أنه رجل متزوج».

في أي حال لننعد الآن إلى المنزل».

عندما عادا إلى المنزل كان مارك مازال في القربة وشعرت ساشا بالراحة لذلك، إذ أتاح لها فرصة أكبر للاستعدادة نفسياً للاقامة. بعد أن عرفت من واين يأمر زواجه. وكانت تريد أن تبدو طبيعية في تصرفاتها معه حتى لا يبدو عليها أي انفعال، إنه حتى أن يعرف مشاعرها تجاهه. وربما استطاعت أن تتساءل بعد ذلك، ولكنها كانت تتدرك تماماً أنها لن تستطيع ذلك.

وعندما عاد مارك من الخارج كان محملاً بالأطعمة التي أحضرها من القربة ودخل المطبخ. وكانت ساشا تجلس فيه يفردها قدامها لما تقف صغيرة وهو يمشي لها قائلًا:

«هذه لك يا ساشا...»

فأخذتها ساشا وهي تشكره ولدهنتها وجدها ثقيلة فقالت:

«هل يمكنك فتحها الآن؟»

فضحك مارك وهو يقول لها:

«بالطبع».

وجلست ساشا إلى المائدة وأخذت تقضي القاعة لتجد في داخلها صندوقاً صغيراً بداخله ثقل من الأختال التي توضع على الورق لتبته من التطاير

وكان على هيئة كرة من الكريستال على شكل وردة جميلة.

ف نظرت ساشا إلى مارك وهي تلاوم رغبته في البكاء ومارلت الابتسام

وهي تقول:

«إنها رائعة حقاً... شكراً لك يا مارك».

والفتت نظراتها شعرت ساشا بالدماء تدفع إلى وجهها فأشاحت برؤسها

سريعاً وهي تنظر إلى الصندوق الصغير الموضوعة أمامها على المائدة وقالت:

«سأذهب لأشعه في مكان آمن... أختي أن يسلط لتكسر الكرة».

ودفعت كرة الكريستال في الصندوق من جديد ووقفت قائلة:

«دعني إذ ذلك».

كان عليها أن تمر به وهي في طريقها إلى باب المطبخ. لكن مارك لم يفتح

لها الطريق فلامست جسمه وهي تمر بما جعلها تشعر بالاضطراب والحزن معاً.

وعندما علقت ساشا إلى حجرتها فررت شيئاً وهو أن تتحاشى يقتر الامكان

الانفراد بمارك طوال فترة وجوده في المنزل، ولا يهم، إذا كان لا يعرف السبب في

ذلك... لكنها لم تكن تستطيع أن تتصوره وهو الرجل المتزوج... كيف يحاول

التودد إليها كما يفعل. ألا يشعر بتأنيب ضميره. ربما أصبح مارك بعد بقلته

هذه الفترة الطويلة في فرنسا - مثل أي زوج فرنسي يحتاجه زورات غرامية.

وزلت ساشا من غرفتها بعد ذلك واتجهت إلى سيارتها في الكراج حيث أخذت أدوات الرسم، وتوجهت إلى المطبخ لاحتضار أحد المقاعد وجبة لاستخدامها كحامل للصورة، وبينما هي متجهة إلى غرفة الجلوس رأَتَ رائد يخط السلم علناً وأحياها غانلاً:
«دعيني أساعدك».

ثم أخذ منها اللقد والعصينة وهو يسألها أين تريد وضع اللقد.
«في الحديقة الأمامية... إذا تكزمت... أين الجميع؟»
«في الطابق العلوي... يضعون الخطط النهائية، كل شيء سينتهي هنا الليلة أو في الصباح الباكر».

وشعرت ساشا بالآلم، فكل شيء سينتهي، ولن تتمكن من رؤية مارك بعدئذ، ولكن يجب عليها التمسك قليلاً من ذلك، ووضع واين الأشياء إلى جانب أدوات الرسم وهو يسألها:
«هل تريد أن أساعدك في وضع حامل الصورة؟»
فابتسخت وهي تقول:

«كيف عرفت أنني سأستخدم اللقد لهذا الغرض؟»
«إنهم هنا لا يطلقون عليّ «الفعل المثير» اعتباطاً يا عزيزتي... أين تجلسين؟»
«سأحضر مقعداً صغيراً من غرفة الجلوس».
وتوجهت ساشا إلى داخل المنزل ورأت مارك يخط السلم فيلحظه بقوله:
«هل تسمحين لي باستخدام سيارتك في الصباح يا ساشا، أريد إحضار السيدة كاسيل».

«نعم، بالطبع، ولكن ماذا تفعل للسيدة كاسيل، كنت أعتقد أنك أنتابرت المنزل لمدة أسبوع آخر أو أسبوعين».

«صحيح، ولكنني أوشعت لها أننا ربما اضطررنا إلى ترك المنزل قبل ذلك، وأشيء ساعلمها بذلك في حينه، لا تظني سأحاول أن أشرح لها الأمر على نهر الاسكان لأمر حضورك إلى المنزل».

ولمست ساشا أنه يعمل حساب كل شيء، كل شيء باستثناء شيء واحد فقط وهو كيف يتبع غشاة غيبية مثلها من الوقوع في حبه.

ولفت ساشا إلى هذه اللحظة لم أنها تكبره كما كانت تكبره من قبل... ولكنها تعرف قائماً أنه لا يمكنها ذلك الآن... وربما لم تكبره من قبل على الإطلاق... إنها تسي أول لقاءها على المسر المجري وهو يتجه إليها مبتسماً كاللاد الأسر.

وأخذت ساشا تنظر إليه وهو يتجه إلى المطبخ، ثم تولفت وهو يلول:
«سأعد القهوة لنا جميعاً، هل تريدن فحداً يا ساشا؟»
«نعم، أرجوك».

إنه يبدو جذاباً فعلاً كانت العسة ماري على حق عندما أعجبت به إذ يمكنه أن يجذب إليه حتى الطيور من أعشاشها.

ثم تذكرت ساشا فجأة القرار الذي اتخذته بعيد الانفراد بمارك فأخذت أحد المقاعد واتجهت إلى الخارج، وأضحت بقية اليوم في الحديقة ترسم، كانت تشعر بالأمان وهي بعيدة عن المنزل حتى أنها لم تدخل لتناول الغداء واكتفت بتناول بعض الشطائر وهي تجلس على الحشائش.

لكنها مع حلول الظلام اضطرت إلى دخول المنزل، وكان الرجال في غرفة الجلوس يلعبون الورق وتولاهما شعور بالضييق، وشعرت فجأة أنها بعيدة عن هذه الجسيرة من الرجال وأنه لا مكان لها بينهم.

ولا حلفت سائلاً أن عارك و واين يحاولان التوقف عندما دخلت غرفة الجلوس فقالت:

«أرجو أن نظل في مكانكما، سأجلس لشاهدكم بعض الرقص».

قبلاًها مارك:

«هل تريدان الاشتراك معنا».

هزت رأسها بالنفي وهي تقول:

«أخسر دائماً في لعب الورق... ولذلك أفضل الاكتفاء بمشاهدتكم».

ورفضت سائلاً أدوات الرسم بمثابة في أحد أركان الغرفة وجلبت لمشاهدة

الرجال وهم يلعبون الورق وهي تستأمل نفسها: متى يغادرون المنزل وكيف.

وأدركت أخيراً من الحديث أن مارك لن يذهب معهم وأنه سيبقى في المنزل.

وجلست في مكانها بين واين ورجلوس ساكنة تماماً وهي تفكر في هذا الأمر.

مارك لن يذهب مع الرجال وهذا يعني أنها ستبقى بمرورها معه في المنزل...

٦ = أفلاطون

صعد واين إلى الطابق العلوي بعد العشاء وعندما نزل مرة أخرى إلى غرفة

الجلوس كان يعمل معه جهازاً غريباً يبدأ لسائلاً كأنه واديو تراتريستور.

وقال واين:

«هذا هو الجهاز... أبلغ يا مارك الرجال بأن يستعدوا عند منتصف الليل».

وأغلب ذلك حديث صغير باللغة الروسية ثم أحضر مارك زجاجة شراب

وعنداً من الكؤوس وجلس الجميع يتناولون الشراب ويدخنون.

وبدأت سحب الدخان ثلاً الغرفة مما جعل سائلاً تشعر بالرغبة في النوم.

لكنها كانت تريد أن تظل مستيقظة لتودع الرجال الثلاثة قبل مغادرتهم المنزل.

فاسترحت في أحد المقاعد الزنبركية بعيداً عن الرجال الذين جلسوا يتجاذبون

أطراف الحديث.

وأخذت سائلاً تتنهد وتنهداً شديداً فتشبتاً خيلاً إليها أن أصوات الرجال تبدو

بعيدة، وبدأت حلقات الدخان تتراقص من حولها وبدأت طا الغرفة كمشهد في أحد

الأفلام السينمائية... راحت في سبات عميق.

لم تشعر سائلاً بشيء بعد ذلك إلا و واين جرها برقبتي. فتحدثت عينيها وهي

تلتفت حولها خائفة متسائلة:

«ماذا حدث؟»

مستخاف المزلز الآن يا عزيزتي، الساعة قاربت الثانية عشرة».

استبالت في جلستها بسرعة وهي تترك عينيها وقالت:

«أسفة... لا بد أن عيني غلقت قليلاً، كنت متعبة للغاية».

فضحك واين وهو يقول:

«أعترف ذلك... هذا يحدث دائماً في بعض الأوقات... كنت ناسين في سلام

ونكتسين بصوت عال».

«حقاً فعلت ذلك؟»

فضحك واين وأجاب:

«إذا أدعوك فقط يا ساشا، لم يصبر منك أي صوت».

ونظرت ساشا حولها فلم تجد أهدأ من الرجال لمقال واين.

«إنهم يستعدون للرحيل ويجهزون حاجاتهم... أما أنا فليس لدي ما أجده لأضي

أفضل، ألا أحل معي أشياء في تنفلاتي».

وسمعت صوتاً عالياً فيوقف واين وهو يقول:

«إنها هي... تعالي يا ساشا وانظري».

لم تكن ساشا قد رأت في حياتها من قبل طائرة هيلوكوبتر عن قرب ولست

في هذه اللحظة لم معها أنه تصوير لالتقاط صورة لها فيراها والدها الذي لم

يصدق أبداً أن طائرة هيلوكوبتر هيئت في الحديقة الأمامية للمنزل.

ونزل الرجال مسرعين من الطابق العلوي بينما بدأت مراوح الطائرة في

التوقف... وفتح مارك باب المنزل ولوح بيده ثم التفت إلى جانوس

ومايوسكي وهو يقول شيئاً باللغة الروسية.

والتفت مايوسكي إلى ساشا ومد لها يده مودعاً فقالت له بالإنكليزية:

«مع السلامة وألحني لك راحة أمتة».

ويذا كأنه فهم ما قالته فقد ابتسم لها وودعت جانوس الذي اتبعني وهو

يخرج من المنزل ثم عاقلها واين مودعاً وهو يقول:

«سأراك مرة أخرى يا ساشا وعلى فكرة هل استعدت جواز سفرك؟»

لرد عليه مارك قائلاً:

«إنه معي... وسأعطيها لها قريبا».

ورفت ساشا في باب المنزل تشاهد الرجال الثلاثة يتقدمون إلى حيث تلف

الطائرة... وخرج مارك معهم ليساندهم في الصعود ثم صافحهم وابتعد عن

الطائرة التي بدأت الاستعداد للتحرك وأخذت ترتفع حتى غابت عن النظر.

وانتهى كل شيء.

وشعرت ساشا بحزن شديد وهي ترى الطائرة تغيب بعيداً. ووقف مارك

قليلاً يلوح، ثم التحج عائداً إلى المنزل. تركت ساشا مكانها قرب الباب،

والجهت إلى الداخل لقد قررت تعاشي الانفراد بمارك. ولكن الأمر بدا لها صعباً

الآن وقد أصبحا يتقربها في المنزل. وكانت الساعة تتجاوز الثانية عشر و ساشا

تتشمع بالارتجاف وبعدما دخل مارك إلى المنزل أغلق الباب وسأله:

«هل تريد من بعض الشراب؟»

فاجابته قائلة:

«لا شكرًا... أنا متعبة للغاية وسأذهب للنوم».

«حسنًا... تصبحين على خير يا ساشا».

وكان مارك يمشي حزناً للرجال الآخرين ونظرت إليه ساشا، كان

يبدو مريضاً وقد ظهرت آثار التعب تحت عينيها فسمت له ساشا توداً طيباً

والجهت إلى السلام تصديداً في بطة متجهة إلى الطابق العلوي. وبعد أن

اغتمست ذهبت إلى شقتها وأغلقت بابها من الداخل بالزلاج.

عندما استيقظت ساشا في الصباح كانت أشعة الشمس غلاً البثرة فنظرت في ساعتها وكانت حوالي العاشرة.

وعندما اتجهت ساشا إلى الحمام كان كل شيء هادئاً تماماً في المنزل وسألت ساشا نفسها إذا كان مارك ما زال نائماً... وهي تتسنى ذلك.

وبعد أن اغتسلت بذلت ملابسها وارتقت الثوب الأبيض الذي كانت تلبسه عند زيارتها العمدة ماري... وفي هذه اللحظة شعرت ساشا بأنها أصبحت حرة تفعل ما يبدوها، تذهب لزيارة عممتها في أي وقت تريد أو للسباحة أو للتريش قليلاً أو تلعب إلى كان إنها الآن حرة. والتفت إلى المرأة فأتت جواز سفرها على الرف تحت المرأة، وقبلاً تذكرت مارك. وشعرت بالحنن بدلاً نفسها. إنها حقاً حرة الآن تفني عطلتها كما يحلو لها ولكن ما معنى الحرية الآن وهي تشعر بالآثم يمتص قلبها وهي تحب شخصاً لا يبادلها شعورها. وأخلفت ساشا عيبتها بعصية: ما هذا الجنون! وكيف تسمح لنفسها بأن تقع في حب شخص مغامر مثل مارك. يختلف تماماً عن كل من عرفتهم من قبل.

وجالست ساشا أمام القارة لبط شعرها وهي تحاول أن تتعق نفسها بأن ما تشعر به تجاه مارك لا يمكن أبداً أن يكون حياً وأنه مجرد نوع من الإعجاب أو الالتفات لهذا الرجل الجذاب الخبير بشؤون الحب. وكلها أسرعت في الابتعاد عنه كلما كان ذلك أفضل لها.

واستمرت ساشا لبط شعرها بعصية وهي تفكر في مارك وعودته بأسرع ما يمكن إلى زوجته وولديه.

وانتهت ساشا فجأة إلى حشرت سيارة تنجيه إلى المنزل فخرجت إلى المائدة بسرعة لترى سيارتها الصغيرة تنجيه يبط من الممر الحجري لتقف أمام المنزل وتذكرت ساشا أن مارك طلب منها استخدام سيارتها لاحتفال السيدة

كاسيل. وتوقفت السيارة أمام المنزل لتبهط منها مارك، ثم وأنه يساعد السيدة كاسيل في الهبوط ثم حاملاً حقيبتها. وألحها إلى الباب.

أسرعت ساشا بالهبوط وهرعت للقاء السيدة كاسيل التي كانت بالنسبة إليها في مثيلة العمدة ماري. وما أن وأنها حتى ألقت بنفسها بين أحضانها وهي تقول:

«هنا... كم أنا سعيدة بزيوتك».

مؤناً كذلك يا ابنتي... ولكن ما الذي يحدث هنا؟

وتقدم مارك الذي كان يقف قرب الباب إلى الداخل وهو يقول بالفرنسية: «كنت أحاول أن أشرح للسيدة كاسيل سره التفاهي الذي حدث... وكيف أن كل شيء على ما يرام الآن لأننا تللينا دعوة لقضاء عطلتنا في القيللا التي يملكها أحد الأصدقاء في نيس. والآن يمكنك البقاء في المنزل لقضاء عطلتك يا أنة دونيلي».

ونظرت ساشا إلى مارك وأدركت أنه كذب على السيدة كاسيل وأخفق قصة ليبرر بها الموقف، ولكن لا يد أنه معتاد على الكذب. وسألت السيدة كاسيل:

«ولكن عروسك يا سيلي، هل هي موجودة هنا؟»

فهر كتفيه قائلاً:

«غادرت المنزل بعدما جلت معها جميع الأمتعة، وسألني بها، لكنني كنت أريد أن أعطني أولاً إلى عودتك للعناية بالأنة دونيلي، والبواين بالطبع».

وشحكت بطريقة صبيانية لطيفة وهو يقول ذلك ثم أشار بيده إلى حليبة السيدة كاسيل مقلداً:

«هل تسمحين بحمل حقيبتك إلى الكوخ، معي المفتاح».

«نعم، نعم شكراً لك، سأعود فوراً يا ساشا للعناية بك».

فقال ساشا:

«لا داعي لأن تنعبي نفسك يا مدام، ليس في الصباح خائتي أنوي قضاء بضعة ساعات في الرسم ولا أحتاج لشيء».

وبدا على السيدة كاسيل أنها ترحب بالبقاء في كونها ولو لفترة قصيرة للعناية بشؤونها فقالت:

«كما تشائين يا عزيزتي».

ووقفت ساشا تنظر إلى السيدة العجوز وهي تبعد يداها عن الحديقة، وبعد بضعة دقائق عاد مارك وكانت ساشا في المطبخ تعد القهوة فوق الباب يراقبها للحظة ثم قال:

«الآن وقد علمت السيدة كاسيل يمكنك الذهاب».

«هل تعني أنك لم تكن لتخاف البزل لو أن السيدة كاسيل لم تعد اليوم؟»

«لا... بالطبع فلم أكن لأتركك هنا وحيدة بمفرده».

فأجابت ساشا بدون أن تحاول النظر إليه:

«أنا قادرة على العناية بنفسى».

«لم أعتقد ذلك... كل ما في الأمر أنك كنت تتوقعين وجودها عند حضورك لقضاء عطلتك، والآن لقد حضرت بالفعل».

فالتفت ساشا إليه وهي تقول:

«حفاً، تأخرت عن الحضور بومين ولكنها عادت في أي حال... هل انتهيت من إعداد حاجياتك؟»

«نعم، وضعت كل شيء على الدراجة وهذه هي مقاليع حيازاتك، وهي مليئة بالوقود».

ثم تقدم مارك ببطء منها وهو يقول:

«ساشا أريد أن أراك مرة أخرى... هل يمكنك الحضور غداً؟»

ونظرت ساشا إلى مقاليع السيارة على الثالثة... أخذها منها مارك منذ ثلاثة أيام فقط ولكنها تبدو لها فترة بعيدة جداً، والآن أعادها إليها وقد انتهى كل شيء.

فأجابت ساشا:

«كنت أعتقد أنك ستعود إلى منزلك».

ولدت في هذه اللحظة لوانه بخبرها بالحققة... ربما كان ذلك سيخفف عنها إلى حد ما، ولكنه قال:

«سأقضي عدة أيام في مكان غريب هناك ما يستدعي عودتي السريعة إلى منزلي».

ضربت ساشا بالبرودة تسري في كيانها فالتفتت للمقاليع عن المائدة ووضعتها في جيبها وهي تقول بهدوء:

«لا، يا مارك، لا يمكنك أن تأتي غداً أو بعد غد، لأنني لا أريد أن أراك».

فجهم وجه مارك وسأها:

«ولكن، هل يمكنك أن أعرف السبب؟»

«لأن كل شيء انتهى، انتهى كل هذا...»

وأشارت بيدها في يأس، ثم أضافت:

«لم يعد هناك شيء... رجل الجميع ويتركك أن ترحل أنت بدورك الآن، وسأقضي عطشتي كما خططت لها من قبل، لم أسمعك في اعتباري عندما حضرت إلى هذا المنزل لأقضي عطشتي ولا أنوي ذلك الآن».

كانت ساشا تبتلع بجهوداً كبيراً وهي تتحدث وتحاول أن تمنع الدموع عن

عينها... ونظرت إلى مارك وقد تغير وجهه تماماً وهو يستمع إليها تقول ذلك. ورائت في عينيه نظرات لم يكن من السهل عليها أن تسامها لفترة طويلة. وانتظرت سائلاً أن يرد مارك عليها أو يناقشها لكنه لم يفعل بل بدأ في هدوء بظاهر الطبع ثم سمعت صوت الباب الأمامي يفتح ثم يقفل ثم رآته يمر أمام النافذة. وبعد دقيقة رآته يهبط السلم إلى دراجته بدون أن يجاوز الأثاثات ولو مرة واحدة... وما أن اختفى عن نظرها حتى انفجرت باكياً.

لا تفري سائلاً كيف أمضت الأيام الثقيلة التي أعقبت هذا اللقاء المصيف مع مارك. قامت بالقيام كل ما كانت تود أن تزيده أو تنسى أن تفعله في عطلتها من قبل... وقضت وقتاً كبيراً في الرسم وذهبت إلى الشاطئ مراراً للاستحمام. لكنها كانت تشعر برغبة قاتلة وكل شيء حولها يذكرها بمارك.

ووجدت في إحدى الغرف زجاجة فيها لبيل من سائل يستعمل بعد الحلاقة. وذكرتها رائحته بالرائحة الغريبة التي كانت قلائد حديقة الكازينو الصغيرة حيث جلست مع مارك. فوضعت الزجاجة في حقيبتها لأنها كانت تود الاحتفاظ بها ذكرى بعد مغادرتها المنزل.

بقي إسبرهان على انتهاء عطلتها ولكن سائلاً لم تكن تعرف كيف يمكنها احتمال البقاء في المنزل طوال هذه الفترة وكل شيء فيه يذكرها بمارك. لم تكن تستطيع النوم وكلما نظرت إلى السرير المجاور لها كانت تشعر بمارك ينام قبة فكانت تبكي في الظلام وتشتي أن تنتهي العطلة سريعاً لتبعد عن هذه الذكريات. والدها سيروح بعيدتها ولن يساعد عن أي شيء.

وعندما حل يوم الأحد كانت سائلاً قد سمعت على مغادرة المنزل. وشعرت بالراحة وهي تتخذ هذا القرار فهرعت إلى غرفتها لحزم أمتعتها وذهبت إلى البهو حيث تركت ورقة صغيرة للسيدة كاسيل تقول فيها أنها ستمدة سريعاً. كانت

تعرف أن السيدة كاسيل ستحضر إلى المنزل بعد حوالي ساعة وأنها ستشعر بالقلق لغيابها.

واستقلت سائلاً سيارتها إلى المكان الوحيد الذي كانت تمني الذهاب إليه في هذه اللحظة... إلى منزل العمّة ماري.

عندما وصلت كان باب الشقة موارباً كالعناد فتناولت عنقها وهي تقول: «هل يمكنني الدخول».

وجاءها صوت عنقها من الداخل يقول:

«يا طبع... سائلاً أعلاً يا طفلي الصغيرة ادخلي».

كانت العمّة ماري تجلس في متعة قرب النافذة فلما دخلت سائلاً فتحت لها ذراعها مرحبة وهي تقول:

«لماذا حضرت في هذا الوقت الممك... إنني سعيدة برؤيتك... ثم قالت وهي تحتضن سائلاً وتسير إلى بالة جميلة من الزهور وضعت إلى جوارها فوق المائدة:

«انظري إلى هذه الزهور الجميلة. أحضرها صديقك الشاب اللطيف. فالتفتت سائلاً واقفة وهي تسأل وكأنها لا تصدق أذنيها:

«ما... ماذا قلت يا عمتي؟»

ولاحظت العمّة ماري التحير الذي طرأ على وجه سائلاً فنظرت إليها وأخذت ترتب بيدها على يد المقعد ثم قالت:

«اجلسي يا عزيزتي! وأخبريني بحقيقة الأمر. ماذا حدث؟»

ولاحظت العمّة ماري التحير الذي طرأ على وجه سائلاً فنظرت إليها وأخذت ترتب بيدها على يد المقعد ثم قالت:

«اجلسي يا عزيزتي! وأخبريني بحقيقة الأمر. ماذا حدث؟»

فجلست ساشا وهي تمسك بيد السيدة المعجوز المستعدة لها وقالت:
«سأعود إلى المنزل يا عمتي، هل يمكنك الاتصال بوالدي من هنا ليعجز تذكرة لي
على الطائرة».

ثم أخذت ساشا تسرد على عمتها كل ما حدث منذ أول لقاء لها مع مارك
في المر المحجري حتى لحظة معرفتها من وابن يأمر زواجه وفاته الأخير معها
في المطبخ... وكانت السيدة المعجوز تستمع إليها في سكوت وهي تهز رأسها
أحياناً وتضبط على يدعا بقوة وكأنها تريد أن تشجعها على الاستمرار في الحديث.
الذي لم تحاول أبداً أن تقطعه وبعد أن انتهت ساشا تنهدت العمدة ماري
بعين وهي تقول:

«أوه يا عزيزتي، إنه شيء مؤسف أن يحدث ذلك، ولكن ماذا يمكنك أن أقول،
أعجبك جداً هذا الشاب، كان يبدو لطيفاً وقوياً ومهذباً كأنه ولد ليكون أميراً.
انظري لقد وصلني هذه الزهور منه مع هذه الورقة».
ولم تستطع ساشا أن تمنع نفسها من سؤال عمتها:
«ماذا يقول في هذه الورقة؟»

فضحكت العمدة ماري وهي تقول:
«إن تعبيراته لطيفة للغاية، إنه يقول في لفظاته إلى أيجل سيدة في مكان مع
حيي... أسألوه بعيد إلى شيامن من جديد».
فلتسبت ساشا وهي تمنح فوق الزهور تستشوق غيرها كانت الزهور
تيبدو جميلة وقد توسطتها وردة حمراء اللون، قالت ساشا الوردة وهي تذكر
أن مارك أعطها وردة مماثلة، لكنها داخل كرة من الكريستال ولن تدبل أبداً
كما سبحت هذه الوردة، ثم التفتت إلى السيدة المعجوز وهي تقول:
«ولماذا، سأعود إلى المنزل، أنت تعرفين أن والدي، لن يوجه إلي أي استغناء لكنني

فجلست المعجوز إليك أولاً لأقول لك كل شيء، حتى لا تشعرني بالاستياء إذا لم
يحضر مارك لزيارتك مرة أخرى».

«لا يا عزيزتي، لم أكن لأشعر بالاستياء لذلك أبداً، فالإنسان في مثل ستي
يعيش يومه فقط ولا يفكر في شيء آخر، صدقيني يا ساشا كل شيء سيكون
على ما يرام، وستتولين على هذا المولف يا طفلي الصغيرة».

ورفعت ساشا يد السيدة المعجوز لتضعها على خدها في حنان قائلة:
«أعرف ذلك يا عمتي... وأشكرك لاسياك التي كنت أعرف أنك ستظلمين
الموقفة».

وظلت ساشا مع عمتها حوالي ساعة اتصلت خلالها ب مطار تيس حيث
حجزت مقعداً على إحدى طائرات اليوم نفسه ثم غادرت منزل العمدة ماري
بعدما وعنتها بالكتابة إليها فور وصولها.

كان الوقت متأخراً جداً عندما تولفت سيارة الأجرة التي استأجلتها ساشا
من المطار أمام منزله الذي يقع في طريق حادي، تحيط به الأشجار وكان المنزل
مظلماً تماماً كما توقعت لأنها لم تتمكن من الاتصال بالندى في فرنسا ليلته
بقدمها.

ودخلت ساشا إلى المنزل حيث ركت حشاها في البهو ثم توجهت إلى حجرة
والدها وهي تقول في صوت خافت:

«أبي... أنا ساشا... هل أنت نائم؟»
«ماذا... ساشا أفلاً يا ابنتي تعالي إني لست نائماً».

دخلت ساشا إلى الغرفة وكان والدها يجلس في كرسيه، فقال وهو يمد يده
ليأخذ نظارته عن الطاولة الصغيرة المجاورة:
«يا ابنتي... هل مضت الأيام بهذه السرعة... كنت أعتقد...»

ولكن ساشا فطاعته فائقة وهي ثقيلة فوق وجنته:

«لا يا أبي... إنك على حق... فطعت العودة باكراً وهذا كل ما في الأمر.

«أوه... حسناً وما أنت قد عدت... هل تشعرين بالمرح؟»

فأجبت: ساشا إذ كانت تعرف أن والدها قليلاً ما يتفكر في الطعام أثناء النهار وهو مغمك في الرسم، أما أثناء الليل فتكثر ما كان يترجى إلى المطبخ لأخذ بعض الشطائر لروت عليه بالانحباب وهي تقول:

«أروء أن أتناول بعض الحساء... هل ترغب في شيء منه؟»

«نعم... وسأخبرك بعد دقيقة ربها أبداً ملاس»

وطارت ساشا غرلة والدها وزلت إلى البور وهي تتبهر بالسعادة لعودتها إلى منزله الذي لا يوجد فيه مكان غارقه وأمتاعه كانت ساشا تعيش في هذا المنزل المظلم مع والدها جون دونيلي الذي روت عن والده شركة هندسية كبيرة. ولم يكن يميل إلى هذا العمل بل ركز اهتمامه الرئيسي على الرسم واستطاع التجمع بين العمل في الشركة والرسم بنجاح تام. شخصيته الجذابة جمعت حوله عدداً من الزملاء في التعاون بالغماس.

ووجهت ساشا إلى المطبخ وأصابت الثور كان مطبخاً مسجماً وكان يرب كلب الحراسة الضخم يتج في أحد أركانه لها دخلت ساشا رفيع رأسه يتنادى وما أن رأها حتى لغز من مكانه وانجبه إليها في سعادة فالتحت ساشا تربت على ظهره وهي تقول:

«أين كنت عندما دخلت إلى المنزل إذن؟»

لغز بعينه كأنه يحتفظاً وهو يزد فيه في سعادة فأثقت إليه ساشا بعض الشطائر ثم أخذت تغم وجهه خفيفه. كان الثور قد غارب منتصف الليل وبعد دقائق سبباً يرب جديد وكان يوم الاثنين... لقد مضى أسيرج بأكله منذ آخر لقاء

لما مع مارك ووجدت نفسها رهاً عنها توجه بذاكرتها إلى المنزل المنعزل في فرنسا ووجه مارك وهو يستمع إليها تطلب منه عدم القيام بمحاولة مرة أخرى. وكيف أنه لم يمارس أن يتناقشها أو يودعها بل خرج من المنزل في هدوء وقد شحب وجهه وكساء تعبير غريب لم تعرف منه إذا كان غامضاً... أو حزناً. وربما لم يكن كذلك.

وانتهت ساشا إلى صورت أقدام والدها يخط الدرج ويتجه إلى المطبخ فأسرعت بأخراج إحدى العلبيات من الخزانة. وهي تقول:

«سأعد كل شيء خلال دقيقة. اجلس يا أبي».

وأخذت ساشا تعد الحساء وتقطع الخبز بطريقة آلية وهي تفكر في مارك عندما كان يعد الطعام في المطبخ وقد وضع التشقة حول خصره. فقالت تحدثت تسلياً... «كفى هذا... ولم تفرك ساشا أنها تحدثت بصوت مسبور إلى أنه سأله والدها:

«كفى... ماذا...»

«أوه... لا شيء يا أبي. لقد كنت أحدث نفسي».

«أوه... إنني أفعل ذلك أحياناً... إنها عادة سيئة. العبيدة براون تعتقد أنني وصلت إلى من الشيخوخة».

كانت السيدة براون تحضر إلى المنزل خمسة أيام خلال الأسبوع للعناية بتطاقته وأعداد الوجبات لوالد ساشا أما في أيام العطلات فإن ساشا تتولى هذه المهمة. وتشعر بالسعادة وهي تجلس مع والدها بمفردها... وعندما كانت تحضر معها أحد أصدقائها إلى المنزل فإن والدها يعترض بأنه متعب فيتركها بمفردها.

كان والد ساشا يعرف قصتها مع نيجل ولم يكن يحبه أبداً. ولكنه لم يمارس أن يظهر ذلك لسانياً. ولم يدعش بعد ذلك أن يعلم أن نيجل كان

متزوجاً وشعر بالسعادة لأن ساشا عرفت بذلك قبل قوات الألمان.

ساشا ستقص عليه بعض ما حدث مع مارك ذات يوم ولكن ليس كل ما حدث... إنها لم تقص على العمة ماري كل ما حدث بالتفصيل وشعرت تماماً بالحدث عن غثاقي مارك لها. وموقفه منها غند كانت تشعر أن هذه المسائل خاصة جداً.

وجلست ساشا والدةها يتناولان الحساء في سكون ثم توقف والدةها لأعداد بعض الحليب بالكاكاو وشعرت ساشا بالأرهاق فرفعت يدها إلى جبهتها، فسألت والدةها:

«هل تشعرين بالصداع؟»

«لا... ولكني مرهقة... أستاذك أن أصعد إلى غرفتي.»

«حسناً... سأجلب إليك قهقراً من الحليب.»

ولم تلاحظ ساشا وهي تغادر المطبخ وجه والدةها يراقبها وقد بدا عليه القلق، كان يعرف أن شيئاً ما حدث ولكنه لم يحاول أن يسأفاً.

كان ما زال أمام ساشا أسبوع قبل العودة إلى عملها وكم كانت تود العودة فوراً، لكن ذلك لا بد أن يتم العديد من التسيولات والتعليقات فنية التحرير في الصحيفة الصغيرة حيث تعمل كانت كأنها غائلة واحدة، كل واحد يعرف الآخر لنام المعرفة.

واستقبلت ساشا متأخرة صباح اليوم التالي وهي لا تعرف ماذا تفعل خلال الأيام المتبقية من عطلتها، وسعدت وهي ترتدي ملابسها في غرفة نومها سموت المكسدة الكورباتية فأدركت أن اتسيدة براون وصلت إلى المنزل فترأت من غرفتها وهي تعد نفسها للأجابه على أسئلتها لأن السيدة براون كانت تعرف أن ساشا لن تعود إلى المنزل قبل أسبوع.

وجلست ساشا تتناول افطارها في المطبخ، والبعثا ذهب إلى عمله كالعادة كل يوم اثنين، لم يحاول التفرغ بعد ذلك للرسم في الأسبوعين الخاص به في المنزل والذي لا يسمح لأحد بغير ساشا بالدخول إليه.

والجهت ساشا في الطريق إلى مكتب البرق والبريد حيث تبعث ببرقية إلى العمة ماري تبلغها فيها أنها عادت إلى المنزل بسلام. ثم أجهت إلى الحديقة العامة حيث جلست على إحدى الأرائك بينما انطلق بوب يطارد الطيور. وشعرت ساشا وهي تجلس بسكون في الحديقة أنها بدأت تعود إلى حالتها الطبيعية إذ كانت تستمع بشخصية قوية وأتعت نفسها بأنه لا طائل في التفكير بأشياء يصعب تحمليها.

وعندما عادت إلى المنزل بعد حوالي ساعة نظمتها في الحديقة تفكر في أمرها كانت قد تغلبت إلى حد كبير على ضعفها وصمت أن تعود إلى حياتها الطبيعية وكأن شيئاً لم يكن.

وعندما حان موعد الغداء اتصلت هاتفياً بصديقها جانيت التي كانت تعمل سكرتيرة... وكانت صداقتها تعود إلى زمن الدراسة وميرتها واحدة في كل شيء. وكانت في مثل عمرها تماماً في الحادية والعشرين، وجاءها صوت جانيت تسأل في دهشة:

«ماذا كنت تفعلين في الكنكرا بحق السماء... كنت أنتظر وصول رسالة مثلك... إنها قصة طويلة ستعربيتها عندما أراك... هل لديك ما يشغلك الليلة هناك قبل أوة مشافعتك.»

والذي بعض الأشخاص البسيطة، هل يمكنك أن تقصلي بي في الساعة السادسة، بعد الانتهاء من تناول طعامي.»

ووضعت ساشا الساعة وهي تفكر في جانيت إذ كانت لها أفضل

صديقه في محبتها مع نيجل. لم تظهر الكثير من الفصول لكنها كانت متفهمة تماماً لظروفها. فهل يمكنها أن تخبرها بكل شيء. عن مارك؟ ربما تفعل ذلك عندما ترافعا.

كان الليلم لطيفاً ومسلماً وقد استجبت به ساشا إلى درجة لم تكن تتوقعها. ثم ترجعا بعد انتهاء العرض إلى أحد المقاهي حيث تناولا قهوجين من القهوة وأخذت جانيت تقصّ على ساشا آخر الأنباء. ولم تحاول أن تسألها عن السبب في عودتها السريعة إلى المنزل. ربما كانت تشعر بأن شيئاً ما حدث. وبينما هما في طريق عودتها إلى المنزل أخبرتها ساشا بكل ما حدث لما فقالت جانيت:

«أوه يا ساشا أنه شيء لا يبكاه بصدفه العقل. إنني بالطبع أعرف ذلك قولين الحقيقة ولكنني لو قرأت ذلك في إحدى الصحف لأعتقدت أنه مجرد خيال ادبي. ثم توقفت قليلاً قبل أن تقول:

«هذا الشخص المدعو مارك يبدو لي مما سمعته جذاباً. هل ذلك كثيراً ما حدث؟»

قهزت ساشا وأنها بالإنجاب وهي تقول:

«نعم، فإني أنألم كثيراً يا جانيت. ولكنني سأقلب على هذه الآلام. فقلت من قبل على آلام فراق نيجل ليس كذلك.»

قهزت جانيت رأسها مصداقة على كلامها ثم قالت في تردد:

«سأذهب إلى حفل مساء الأربعاء المقبل.»

وهبت ساشا بفاجعتها ولكنها استطردت تقول:

«لا... انظري... أعرف أنك لا تريدان الذهاب معي وأنت لن تسمعي بوقتك ولكن يجب أن تحاولي. وبالنسبة لستغلبين على الآلامك لن تخسري شيئاً.

وبالنسبة انتهت غلاتني برويرث في الأسبوع الماضي.»

وأوه يا جانيت. كم أنا أسفة لذلك. فلماذا لم تخبريني من قبل وتركتني أستطرد في الحديث عن متاعبي.»

فضحكت جانيت وهي تقول:

«الأمر لا يهم... صدقيني يا ساشا. أصبح بسيطاً إلى درجة كبيرة في الفترة الأخيرة وما عدت أظلمه... ونجاة التفتت إليه في أحد الأيام وقلت له:

«لا أقبل أنه يمكنني أن أرى وجهك صباح كل يوم على مائدة الإفطار طول حياتي.»

ثم أضافت وهي تهز كتفها:

«ولذلك أنبينا قصة عينا في هدوء وبدون غضب. وربما يحضر إلى الحفل الليلة.»

«ولكنك كنت على وشك إعلان خطبتك إليه في عيد ميلادك.»

«على أي حال. كان من حسن حظي أنني اكتشفت عدم رغبتني في الزواج منه

قبل فوات الأوان. ولأن ما رأيك في الحضور إلى الحفل.»

حسنأ. سأحضر وشكراً لك. وإذا كان يمكنك التغلب على مشكلتك في الحب فمن الطبيعي أنه يمكنني ذلك أيضاً.

وافترقتا وترجعت ساشا إلى المنزل وهي تشعر بأنها أحسن حالاً منذ قصت

بولتها في الخارج وما هي قد التفتت مع جانيت على الذهاب معها إلى الحفل في

المساء. وفكرت في أنها لو حاولت شغل وقتها بهذه الطريقة سيمنحها التغلب على

آلامها اللزاق مارك. وربما يصبح كل ما حدث لها معه مجرد ذكرى باهتة يورور

بضعة أيام أخرى.

وجاهدت ساشا نفسها كثيراً حتى لا تراجع عن الذهاب إلى الحفل كما

وعقدت صديقتها ومساء الأربعاء استعدت للذهاب بالفعل وارتدت ثوباً جميلاً

أظهر جماعاً. وكان الحفل يقام في منزل إحدى صديقات جانيث على بعد بضعة أميال من منزله. وكانت جانيث قد اتفقت مع ساشا أن تزيها في منزله لاصطحابها، لأنها لم تكن تعرف الطريق. وأصر والد ساشا على ألا تذهب بسيارتها وأن تذهب في سيارة تاكسي لتلا تقود سيارتها في طريق العودة وهي مجعدة. ولقد وافقته ساشا على ذلك لأنه نادراً ما كان يتدخل في شؤونها ولأنها وجدت كلامه صحيحاً.

وغادرت الفتاتان المنزل في الساعة مساءً وعندما وصلتا إلى مكان الحفل شعرت ساشا باليء الأمر بالخروج والحجل وهي تذهب إلى الحجرة التي أودعت عن أخوها بالتليفون من الجيبين برفصون على أنغام تبعث من أحد مسجلات الصوت في ركن الغرفة الواضحة.

وجاءت ساشا لتتوسط طبيعة. وأخذت تثقت حولاً فوجدت الجميع يرحون ويضحكون فشعرت بالحزن. لكنها سمعت على أن تثقل على مشاعرها ومحاوله الاستمتاع بولفها بقدر الامكان.

ولم يكن ذلك صعباً بالنسبة لساشا فقد كانت جذابة بتهافت الشيبه للتعرف اليها. وسرعان ما تقدم شابان تيمت كانت تجلس قرب جانيث. وتقدم أحدهما وانحنى أمامها وهو يقدم نفسه قائلاً:

«أدعى بول وأنت ساشا أليس كذلك؟ ولقد حجزت الرقصة التالية.» وكان الزحام قد خلف في الغرفة قليلاً إذ توجه الكثير من المرحجين إلى الغرفة المجاورة لتناول الطعام. أما ساشا فلبقت في مكانها ولم تكن تشعر بالملح. ونظرت إلى الشاب المشغول الغوام الذي وقف أمامها وابستمت وهي تقول:

«أخلاً ما تقول... ولكن هل يجيزون الرقصات هنا مقدماً؟» وتركتها الشاب وتوجه إلى حيث يوجد مسجل الصوت ووضع أسطوانة من

فرائك سينتار... وكان يتحرك بحرية تامة كأنه يمتلك المكان وطامر ساشا الظن أنه ربما كان حقاً يمتلكه فهي لم تكن تعرف أصحاب الحفل.

وانطلق صوت الموسيقى علاناً وسرعان ما شعرت ساشا بخروج من الاسترخاء ولعلها شعور بأنه سيكون من السهل عليها الاستمتاع بوقتها إذا كتبت عن التفكير فيما مضى.

وانتهت ساشا إلى بول بقلب يجانها وكانت الغرفة خالية بعدما ذهب الجميع لتناول الشراب والطعام... وجدت نفسها تجلس وحيدة مع هذا الشاب... كان يبدو في الخامسة والعشرين من عمره وإنشاً من نفسه قائماً وتظنرت إليه فلاحظت أنه جذاب إلى درجة كبيرة... وصحبها إلى الخرفة ثم أجهها إلى أحد الغرف المظلمة وقبعة ودون أن تمرى ماذا حدث احتفتها بدون أن يترك لها أي فرصة للاعتراض.

وانتهت ساشا فربما تولاه قليلاً لانتفاط أنفاسه وثالث وهي تصارو التخلص منه:

«لحظة أرجوك... أياً كان اسمك إني لا...»

ولكن الشاب قاطعها قائلاً:

«إن اسمي بول جالمسون وقدت اليك نفسي من قبل في الداخل.»

ثم أربك ضاحكاً:

«لا تقولي أنك نيت اسمي.»

فلاقت ساشا:

«جسناً يا بول إني لم...»

ولكنه لم يتبع لها الفرصة لتتم حديثها فقد قاطعها من جديد قائلاً:

«لا تقولي شيئاً... إني أشعر بضيق أمام النساء الجميلات وأنت جذابة جداً ولقد

لها عشتى طوال المساء».

ثم أعاط طعصرها بذراعها فضحكت ساشا وغلماً عنها وهي تقول:
«ولكنني لم أراك في حياتي من قبل».

فقال بول وقد رآها تنفجر بالضحك:

«هذا أفضل... والآن تعالني تدخل وتنالني بعض الطعام لأنني أكلت الموت جرعة». وبعد ساعتين بدأ الزحام يخف في القرية وبدأ الجميع بالتصرف وكانت ساشا تجلس مع بول يتجاذبان الحديث فلم تشعر بمرور الوقت فقد كان بول متحدثاً لبقاً للغاية واستمتع ساشا بصحبته لكنها كانت تشعر أنه بالنسبة إليها مجرد شاب جذاب يمكنها أن تضي معه بعض الوقت لأنه لم يثر في نفسها أي مشاعر أو عاطفة.

والتي بول نظرة سريعة إلى ساعة يده وسأله:

«هل يمكنك أن أوصلك إلى المنزل؟»

وأخذت ساشا تحيول بعينيهما في أنحاء المكان تبحث عن جانيث التي كانت تلعب في أحد أركان القرية وقد اشغلت قاهناً عن كل ما حولها بعددث هامس مع أحد الشبان.

وأجابت ساشا:

«حسناً... ولكنني حضرت مع جانيث ويجب أن أستاذتها».

فحظر بول إلى حيث تلعب جانيث ولما حشاكها:

«ولكن يبدو أن جانيث وجدت من يعتني بها ولن تكون في حاجة إلى صحبتك... في أي حال يمكنك الاستئذان منها».

وتوجهت ساشا إلى جانيث لتسألهما إذا كانت ترغب في العودة معها.

وبدا واحشاً لها أنها لا ترغب في ذلك فعدلت ساشا إلى حيث يقف بول

مبتسماً في انتظارها وقالت:

«كنت على حق... وجدت جانيث من يعتني بها فعلاً... ولكن اسمع... إنني أريد أن أوضح لك بعض الأمور منذ البداية إنني...»

فأسرع بول فقاطعتها وهو يقول:

«أعرف تماماً ما تريد من قوله ولست في حاجة لأن تقول لي ذلك...»

«أقول ماذا؟»

«يجب أن أنصرف معك بأدب تام... وألا اتود السيارة بسرعة وأن أضع يدي على عجلة القيادة وألاً... ألا أدعي نفاذ الوقود في إحدى المناطق المبعثرة».

لضحكت ساشا وهي تقول:

«هذا كل ما أردت قوله بالفعل... في أي حال إذا كنت تشعر بأنك لن...»

ولكن بول قاطعها من جديد وهو يقول:

«كفى... تعالني الآن فلنذهب وأعدك بأنني سأكون عند حسن ظنك...»

والتم بول بوعده لها طوال الطريق وبعد حوالي عشرين دقيقة وصلا إلى المنزل وأوقف بول السيارة والتفتت إليها قائلاً:

«حسناً... ها قد وصلنا... متى يمكنك أن أراك مرة أخرى؟»

فردت ساشا قائلة:

«لن نراي مرة أخرى... أعني... حسناً... فلتعت بصحبتك هذا المساء إلى درجة كبيرة ولكنني لا أرى داعياً».

فقاطعتها بول قائلاً:

«وأه هل هناك قصة حب أخرى... ومن هو الشخص الآخر حتى أعظم أنفعد».

فابتسمت ساشا وغلماً عنها وهي ترد قائلة:

«شيء من هذا القبيل».

فقال بول:

«حسناً... ما دامت قد تحدثنا بهدنة فأرجو أن نواصل على لقاء رجل يمر بظروف مشابهة إذا كنت تفهمين ما أعني».

«عني أنت».

فأجاب بول: «ولد شاب مصوته شيء من الحزن».

«نعم أنا، تخلف هذا الظاهر المرح يخفي قلب يتألم... والأني سأكون أميناً معك... ما رأيك في أن نقضي في علاقتنا معاً على أساس من الحب الأفلاطوني».

تفطرت إليه ساشا وبعد تردد اهتمت وهي تقول:

«حسناً... يبدو لي هذا الحل معقولاً».

«حسناً... للتصانح... أو ربما سمعت في قبيلة أفلاطونية».

لتضحكت ساشا وهي تمل:

«حسناً... إذا كنت تريد ذلك حقاً».

وقبلها بول على وجنتها ومضى. وولفت ساشا ترائيد يرتعد في السيارة بعدما اتفقا على اللقاء بعد يومين لتناول العشاء معاً.

وعندما دخلت ساشا إلى غرفتها هذه الليلة واستلقت في فراشها... استغرقت في نوم عميق لأول مرة منذ ما يزيد على أسبوع منذ فراقها لمارك.

وعندما حل مساء يوم الجمعة مرعد لقاتها مع بول استعدت ساشا للقاءه وقد وضعت ثوباً بسيطاً أزرق اللون فبدت جذابة للغاية... وصحبها بول إلى أحد المقامات العامة على الطريق وكان يبعد عن منزلها حوالي سبعة

أميال... وكان المكان جميلاً شاعرياً. ووجدت ساشا نفسها ولدهشتها التدهية تستمتع بقضائها الوقت مع بول وتوقفت عن التفكير في مارك لمدة تصل ساعة كاملة.

وبينا جلسا يتناولان طعام العشاء على ضوء الشموع أخذ بول يتقص عليها قصته... كان الحزن يبدو واضحاً على وجهه وكان يبدو في حاجة إلى من يستمع إليه ويسري عنه فجلست ساشا تستمع إليه في الهدوء الشديد.

وقال بول: «أنه كان يحب فتاة اسمها أن. واستمرت علاقتها لما يزيد على عام ثم حدث بينها خلاف منذ بضعة أسابيع حول مسألة يعتبرها أمر مهم جداً بالنسبة إليه... كان بول معتاداً بنفسه ولذا رفض قبول عرض والدها وهو

رجل أعمال غني للعمل معه على أن يضاعف له الأجر الذي يتقاضاه في عمله الحالي ولم تقم أن سر رفضه هذا العرض ولكن بول كان يفضل الاستقلال في عمله وأصر على الرفض وتطور الخلاف بينها ليصل إلى نقطة

الانفجار واقتربا... وتوقف بول قليلاً بعدما انتهى من سرد قصته ثم قال وهو يتفحص دخان سيجارته بيده إن أن لم تستطع أن تفهم موقفك، كانت تعتقد أنني يجب أن أكون سعيداً بالعمل مع والدها وخاصة أن العرض مغر... ولكنني

أريد أن أتحق طريقي في الحياة ومدى كما أشاء بدون أن أعتد على أحد... وأمر أنها كانت تحبني حقيقة لأدركت ذلك ولعرفت أنني لا أقبل أن أكون تابعاً لأي شخص أبداً كان.

وسأنتبه ساشا

«ألم تحاولي الداعية مرة أخرى لمناقشة هذه المسألة».

تفكر إليها وقد بدت في عينيها نظرة كبرياء وهو يقول:

«لا، لن أذهب إليها زاعفاً على رأيي، وهي أبهى أكثر مني عناداً ولذا...».

ثم عز كفتيه في يأس.

وتهددت ساشا وودت لمرأيتها فقصت عليه قصتها مع مارك لكنها لم تكن تتوى على ذلك... ومضى بول بهد فأمسك بيدها غير المائدة وهو يقول وقد

«صالي الآن لترقص ولتحرق لهم نحضر إلى هذا المكان الجميل لألصق عليك هذه الأشياء المحزنة... هذا بالاضافة إلى أنني... أراك جذابة جداً ولولا هذا الاتفاق الألفاظوني بيننا...»

فاستبست ساشا وقد شعرت أنه عاد إلى طبيعته من جديد وقت لم اتاحت لها الفرصة لمساعدته في العودة إلى حبيبته.

وفي اليوم التالي دعاها بول للذهاب معه إلى حفل يقامه أحد أصدقائه ورجعت ساشا بذلك لأنها كانت قد صممت أن تشغل وقتها بأي وسيلة حتى لا تفكر في مارك وبعد حوالي نصف ساعة من وصولها إلى مكان الحفل بدا بول متوتراً للغاية وكان يبدو عصبياً وهو يختلس النظرات إلى إحدى الزوايا... ونظرت ساشا إلى حيث تنجبه نظراته فראت فتاة شقراء مشحولة الغد جميلة تنف مع أحد الشبان وهي تختلس النظرات إليها وقد بدا الالم والعيق على وجهها.

فانظرت ساشا إلى بول مستأنفة:

«هل أن موجودة في هذا الحفل؟»

فاجاب بول في حزن:

«نعم... ولكنني أقسم لك أنني لم أكن أعرف أنها ستحضر وإلا ما حضرت.»

ثم قال في عصبية وهو يحاول الانصراف:

«لا يمكنني البقاء في هذا المكان أكثر من ذلك...»

ولكن ساشا أمسكت بذرعه وودت في هدوء:

«هل سنهلي ولن أدعك تتصرف.»

ونظرت ساشا إلى وجه الفتاة وأدركت على الفور أنها تحب بول وأنها

شعر بالغيرة لوجوده معها وشعرت ساشا أنه لو كانت النظرات تنقل لأصبحت الآن صريعة نظرات الغيرة التي كانت آن توجعها إليها.

وبدا وكأن الفتاة تريد الانصراف بدورها، لكن الشاب الذي كان يقف معها مسك بذراعها ليستمها من ذلك. وشعرت ساشا بالألم وهي ترقص مع بول إذ كانت آن تراها ووجهها ينطق بالألم وكانت ساشا تدرك حقيقة نعورها وتعرف مدى ما تعانيه، ولكنها شعرت أن أن سمجة الحظ ويمكنها جهود بسيط العودة إلى بول في هذه اللحظة وخطرت في ذهن ساشا فكرة صممت على تنفيذها متى اتاحت لها الفرصة لاعادة اللقاء إلى بحارها بين بول و أن إذ كانت تود مساعدة بول الذي ساعدها بدون أن يشعر على لتغلب على الآلام في الأيام الأولى التي أعقبت خرافها لمارك.

وأخيراً صممت ساشا هذه الفرصة حين شاهدت أن تنجبه إلى الطابق العلوي فاسترعت بالاعتذار من بول بأنها تريد اصلاح زينتها وتعدت أن إلى الطابق العلوي وراأت أن تنجبه إلى إحدى الغرف حيث توجد المعاطف تبعثها وبعدما دخلت أغلقت الباب وراءها فالتفت أن إليها في دهشة وما أن مرتقتها حتى اندفعت الدماء إلى وجهها فبادرتها ساشا قائلة:

«إنك لا تعرفيني... ولكنني أؤكد لك أن هناك شخصاً يجهك إلى درجة الجنون وهو موجود في الطابق الأرضي ويدعى بول.»

وانطلقت أن واقفة وهي تقول:

«أعتقد أنني لا...»

ولكن ساشا لم تدعها تكمل حديثها فقد قاطعتها قائلة:

«استمعي إلي جيداً لأنني أريد مساعدتك وأنا أفكر شعورك لأنني أيضاً أحب شكك، ولكن الشخص الذي أعيد لا يبدلني شعوري... التفتت بول خلال

محل ألامته إحدى الصديقات في الأسبوع الثالث وخرجنا بطبع مرات معاً لأننا بحاجة إلى المؤسسة. ولكنني لا أحب بول وهو أيضاً لا يحبني. أنا معجبة به فقط فهو شخص لطيف. ولكنني شعرت بأنه غير سعيد وأردت مساعدته. لأنني... أعرف شعوره وأدرك مدى الألم الذي يعانيه»

واضطربت ساشا وقد تراءى لها في هذه اللحظة وجه حارك فلماث في صوت مضطرب:

«أبليس... ولكنني أريد أن أقدم مساعدتي فقط».

فجلست أن إلى جوارها وهي تقول:

«أنا أسفة أيضاً... إنني... إنني أصدقك... ما اسمك؟»

«ساشا دوتيل».

«وأنا أن كارلين».

ثم سألتها أن في حدود:

«ولكن ما الذي يمكنك عمله؟»

فسألتها ساشا:

«هل تحبين؟»

فهرزت أن رأسها بالإيجاب وهي تقول:

«أشعر بالنعاسة منذ فراقه... ولكن عندما شاهدتك في الليلة معاً...»

فقاطعتها ساشا قائلة:

«هيا نزل إلى الطابق الأرضي الآن».

«ولكن ما الذي تتوين عمله؟»

«تعالى وسترين بنفسك. ألا تتقوين بي يا أن؟»

فرددت أن بالإيجاب وصحبته ساشا إلى الطابق الأرضي وانجهتا إلى

حيث يقف بول الذي نظر إليهما في دهول وهما تقتربان منه وقد وضعت ساشا ذراعها في ذراع أن..

وتقدمت منه ساشا وهي تقول لأن:

«أحب أن أقدم اليك بول جامسون».

ثم أسالت:

«بول هذه أن كارلين التي نود أن تنضم إلينا».

وأثارت ساشا في هذه اللحظة أن محاولتها نجحت فلهذا ذلك واضحاً في

التريق الذي لم في عيني أن وهي تنظر إلى بول وفي الدفء والحنان الذي

بدا في عيني بول وهو ينظر إليها.

ثم التفت إليهما ساشا قائلة:

«أشعر بصداق مقامي... سأذهب لاستدعي سيارة تاكسي للعودة إلى المنزل».

فقال بول:

«لا... لن نذهب وحده».

ثم التفت إلى أن يسألها:

«هل لديك مانع في أن توصل ساشا إلى منزلها... خاصة أن الجو هنا حار

للغاية».

فوافقت أن على ذلك وهي تنظر إليه مبتسمة.

وعندما وصلوا إلى المنزل دعته ساشا لتناول قهوج من القهوة معها وكانت

الساعة قاربت الثانية عشرة وكان نور المنزل مضاء برغم أن والدعا لم يكن

معتاداً على السهر.

ولكن أن و بول تبادلوا النظرات ثم ابتسما وقال بول:

«يشكراً يا ساشا، ليس الليلة فليدنا ما نريد مناقشته والوقت الآن متأخراً لي أني

حال شكراً على كل شيء».

«شكراً لك أنت فقد كنت عوناً لي عندما كنت في حاجة لمن يلف بجاني».

وزل بول من السيارة وهمس لساناً وهو يفتح لها باب السيارة الخلفي لتبسط.

«سبحت لك بدعوة لحضور حفل زفافنا».

وولفت ساشا تلوح لها وهما يتعدان بالسيارة ثم التفتت إلى باب المنزل فتفحه وهي تعجب كيف أن والدها ما زال مستيقظاً حتى هذه الساعة... وعندما فتحت الباب كان أول ما ترمى إلى أنفها أصوات رجال يتحدثون ثم اندلع كلبها بوب لتحياتها ثم سمعت صوت والدها يقول:

«ها هي قد وصلت ميكرة... لم أكن أتوقع حضورها الآن».

والتفت ساشا في بطن إلى باب المطبخ وفي داخلها شعور بأنها ستري مارك. وعندما ولت بباب المطبخ رأت شخصاً يلف أمام الموقد وظهروه لها وعندما استدار رأت وجهه كان مارك...

٧ - شكراً للعمة

استندت ساشا إلى الباب لتضع نفسها من السقوط ثم سمعت صوت

مارك يقول لها

«أهلاً ساشا».

فردت وهي ما زالت في مكانها

«أهلاً...»

كان مارك ووالدها يعدان القهوة وكان مارك يبدو أنيقاً وهو يرتدي حلة زرقاء اللون وقميصاً أبيض وربطة عنق مناسبة، وبدا لها مختلفاً تماماً وأخذت تنظر إليه وقد انتفعت الدماء إلى وجهها، وسمعت والدها يقول:

«اسمعي لي بالانصراف للحظة... يجب أن...»

ولم تكن ساشا تشع إليه... وتبتهت أخيراً إلى أنها تكلم مع مارك بمفردها في المطبخ وقد ذهب والدها وتبعه الكلب بوب.

وأخيراً تحدثت ساشا فسالته في تلطم وهي تحاول جامدة التماسك:

«كيف... كيف حضرت إلى هنا؟»

وأخذت الطائرة إلى لندن ثم أخذت قطاراً لأصل إلى هنا... ذهبت أمس لزيارة العمة ماري حيث قضيت معظم اليوم معها وبعد أن تركتها توجهت إلى مطار نيس لأحجز تذكرة على الطائرة ولكنني لم أجد مكاناً خالياً سوى اليوم.

وتقدم مارك من ساشا لكنها تراجعت إلى الوراء وهي تقول:
«أرجوك لا تقترب مني أكثر من ذلك».

كانت تشعر أنها على وشك الانهيار وكانت تخشى أن يقترب منها أو يلمسها لأنها شعرت في هذه اللحظة أنها لن تستطيع أن تقاومه أكثر من ذلك وأنها تود لو ترقى بين أحضانها... ولكن يجب عليها التماسك حتى لا يلاحظ ذلك. فقال مارك:

«إذا كنت تعتقد أنني حضرت كل هذه المسافة لتطرديني من جديد فأنت مخطئة... لماذا لم تخبريني في منزل السيدة كاسيل بالسبب الذي من أجله طليت مني عدم رؤيتك مرة أخرى؟»
فتنصت ساشا بهدوء ثم قالت:

«من المؤكد أنك تعرف السبب... هل من الضروري أن أقول لك السبب بنفسى؟ حسناً، إنني لا أصدق الرجال المتزوجين».
«ولكنني لست متزوجاً يا ساشا».

فهرت ساشا رأسها ولوت شفتها في احتقار وهي تقول:
«إنني أعرف أن الكذب شيء سهل بالنسبة اليك... انه جزء من عملك أليس كذلك؟ ولكن أن تتكرر أن لك زوجة وأطفالاً...»
فقاطعتها مارك قائلاً:

«إنها ليست زوجتي... إنها شقيقي وأنا لست والد الأطفال ولكنني خلعهم، أقسم لك على ذلك. لست متزوجاً ولم أتزوج في حياتي وليس لي أطفال».
وشعرت ساشا بدوار وأنها على وشك السقوط فقالت:
«إنني... إنني لا...»

ولكنها لم تستطع أن تكمل حديثها فمدت يدها فأصرع مارك إليها ليقلب

بجانبها ووضع ذراعه حول خصرها، ولم يحاول أن يتعد عنه أو تقاومه بل ابرقت بين أحضانها وغابت في عنق طويل.

وأخيراً التقط مارك أنفاسه ونظر إليها في حب وحنان وهو يقول:
«ساشا، يا عزيزتي».

قال مارك ذلك باللغة الروسية ثم أضاف بالإنجليزية:
«ألا تعرفين أنني أحبك أكثر من أي شيء في الحياة... لقد تحملت من العذاب ما لم يتحملة شخص آخر منذ ذلك اليوم الفظيع عندما قلت أنك لا تريدني رؤيتي مرة أخرى».

كانت ساشا تقف مستندة إلى خزانة المطبخ وكان مارك يقف ملاصقاً لها وقد أحاطها بذراعيه فشمها من الحركة، لكنها لم تكن تريد أن تتحرك أو تتركه، كانت تمنى لو تظل هكذا بين ذراعيه إلى الأبد.
وهست ساشا قائلة:

«أنا أحبك أيضاً... ولم تكن الشخص الوحيد الذي تألمت فقد تألمت كثير، لفراقك... ولكن كيف... ولماذا قال واين ذلك».
«واين» لم يكذب بل أخبرها بما سمعه وأعتقد أنه الحقيقة... لو أنني عرفت ذلك قبل أن يغادر المنزل... شعرت بأنك تغيرت بعد عودتك معه من الخارج ولم أعرف السبب في ذلك... وعندما أخبرني في صباح اليوم التالي أنك لا تريدني رؤيتي مرة أخرى... معني كبرياتي من محاولة معرفة السبب لأنني لم أعود التذلل لأي إنسان مهما كان».

ورفع مارك رأسه بكبرياء وهو يقول ذلك ثم ابتسم فرفعت ساشا يدها وأخذت تحس وجهه في حنان وحب فانحنى مارك يسبح بجهتها وهو يقول:
«لا تفعل ذلك يا ساشا... أنت لا تعرفين تأثير ذلك علي».

فضحكت ساشا وفاض وجهها بالسعادة فأضاف مارك:

«عندما هربت مع أختي أنا منذ عدة سنوات كان علينا التظاهر بأننا زوجان... ربما كان ذلك هو السبب في أن واين قال لك أنني متزوج، لأنه لا بد أنه سمع بذلك من أي شخص ولم تنح له الفرصة لمعرفة الحقيقة... وبعد هروبا تزوجت أنا من ضابط بحري فرنسي والتسنا معاً أحد المطاعم... أما الآن فقد استقال زوجنا من وظيفته وأفكر في أن أبيع له حصتي في المطعم... ولقد رزقت شقيقتي من زوجها بطفلين».

ثم ضحك مارك وهو يضيف:

«ونسيت أن أقول لك أيضاً أن عندها قطة تدعى ميتو تصطاد الفئران، وأنا الآن رجل عجوز في الثالثة والثلاثين من عمري... وأكثر شيء أحبه هو الطهي... ولكن ليس مثل حبي لك».

وأخيراً تركها مارك غلامت بأعداد قدحين من القهوة وجلساً معاً إلى المائدة يتناولانها وهو يسك يدها وكأنه يخشى أن تتبدد عنه مرة أخرى.

ثم سأله ساشا:

«ولكن لماذا ذهبت لزيارة العمه ماري».

«لأنني واعدتها بذلك... وكنت على وشك العودة إلى بلدي».

ثم ربت بلطف على يدها وهو يضيف:

«لولا العمه ماري لما حضرت إلى هنا، فقد أبلغتني بأنك لمحيتني».

وبدت الدهشة على وجه ساشا فضحك مارك وهو يقول:

«نعم... قالت لي ذلك... إنها سيدة حكيمة للغاية... ثم أبلغتني بأنك رفضت مقابلي مرة أخرى لأنني متزوج...»

وتوقف مارك قليلاً ليأخذ رشفة من فحده ونظرت ساشا إليه... لقد

لازمها وجهه ولم يبارتها لحظة واحدة منذ لفاتها العاصف في فرنسا ثم أضاف مارك:

«شرحت لما الأمر وأوضح أني لم أتزوج من قبل ثم تركتها لأتوجه إليك في منزل السيدة كاسيل، لكنها أبلغتني بأنك عدت إلى انكلترا».

وأغضى مارك عينيه ورفع يدها إلى فمه يلقها في حنان ثم قال:

«لا تستطيعين أن تتخيلي شعوري في ذلك الوقت، حدثني العمه ماري بكل شيء عنك ولكنني لم أكن في حاجة إلى ذلك، كنت أشعر أنني أعرفك جيداً... بل أشعر أنني أعرفك طوال حياتي... ولقد كرهت نفسي عندما كنا في المنزل وكنت أعاملُك بقسوة أنني لم أتعود أن أعامل أي فتاة بقسوة... كنت لطيفاً معك... إنني أعرف ذلك... هل يمكنك أن تسامحيني يا ساشا».

فردت ساشا في بساطة:

«ليس هناك ما يمكن أن أسامحك عنه، ليس هناك شيء على الإطلاق، ربما كان ما حدث بيننا من فراق فيه خير لنا، لقد شعرت بأنني لا يمكن أن أحيا بدونك...»
لسأله مارك:

«حتى يمكننا الزواج؟ هل نتزوج غداً».

فضحكت ساشا وهي تقول:

«أوه... يا مارك غداً كم أتى ذلك».

ولم تفر ساشا إلا وهي تندفع لتحتضن مارك!

وبعد شهر عقد قران ساشا و مارك... وكان احتفالاً بسيطاً حضره الأقارب والأصدقاء المقربون وكانت جاليت وصيفة العروس، كمياً حضر الاحتفال بول زوج شقيقة مارك الذي جاء إلى انكلترا خصيصاً لهذا الغرض. وعندما خرجا من الكنيسة رأت ساشا أن تلف مع بول وابستمت

سانشا لأنها لم تكن تدري ما إذا كانت ستراها مرة أخرى ولكن ها هي تراها يوم زواجها من مارك وتظرت سانشا إلى يد أن فرأت خاتماً من الماس يلصق في إصبعها.

كان هناك شخص واحد لم يحضر حفل زواجها وكم كان ذلك يحز في نفسها... إنها العمة ماري التي لم تتسكن من السفر والمضبور إلى انكلترا.

ولكن سانشا و مارك سافرا إلى باريس بعدئذ لمدة واستأجرا سيارة وتوجها إلى الجنوب وتولفا في الطريق بالطعام الذي تديره شقيقة مارك حيث أمضا وقتاً ممتعاً مع عائلتها.

وبعد ذلك توجهت سانشا و مارك إلى كان حيث قضيا ليلتهما في أحد الفنادق. واستلقت سانشا في سريرها تنظر إلى الرجل الرائد بجوارها وقد انعكس ضوء القمر على وجهه فهي لما أنها ما زالت في منزل السيدة كاسيل قدمت يدها تتحسس مارك لتتأكد أنه ينام إلى جوارها فعلاً وأنها لا تحلم فتحرك في نومه وهو يقول بالروسية:
« سانشا يا عزيزتي »

فابتسمت سانشا وهي تعتقد أنه يحاول تلقينها اللغة الروسية. وفي الصباح جلسا يتناولان الافطار في الشرفة المعلقة بفرفرتها فساءلها وهو يمد لها يده باحدى القطاير:

« هل تعتقدين أنها ستفاجأ بزيارتنا. »
« نعم أعتقد ذلك... ولولا حضورنا لزيارتها لما كنا نجلس الآن معاً في هذا المكان الجميل... حقاً إننا ندين للعمة ماري بالكثير. »

وبعد الافطار استقلا السيارة وتوجها إلى منزل العمة ماري وكانت تجلس

في الشرفة كأنها في انتظارها. وما أن رأتها حتى أخذت تلوح لها بيدها وأخذت تتابعها وتحدثت الدموع على وجنتيها وصاحت تقول:
« هيا إلي... اصعدا... كم أنا سعيدة بحضوركما »

ولكن كان على العمة ماري الانتظار قليلاً لأن المصعد كان معطلاً وكان عليها الصعود على السلم... وقد انتهز مارك هذه الفرصة ليقتل سانشا عند كل منحنى قبل أن يصل إلى شقة العمة ماري التي تحركت ببطء صوب الباب لتحيتها وهي تقول:

« لا أعرف ما الذي عطلكما ولكنني أشعر أنكما استغرقنا وقتاً طويلاً جداً في صعود السلم... »

قالت العمة ماري ذلك وهي تغمز وتلوحها إلى الداخل

NLO

LILAS.COM